

البحث عن الحقيقة

في نشأة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي
وعلومه وأصول طريقته

تأليف

مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله العطاس

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ

المُقَدِّمَةُ

إن البحث في الروايات التي تنقلها المصادر التاريخية، وتتناقلها فيما بينها جيلاً بعد جيل ، حول نشأة بعض أعلام السلف من العلماء والدعاة والمفكرين ، وحول تاريخ حياتهم ومناهجهم العلمية والسلوكية ، والمقصودُ به البحثُ المؤسَّس على التحقيق العلمي والنقد الموضوعي لمضامين تلك الروايات ، وسبُرُ أغوارها والتحقق من صحة أسانيدِها ، تعد بكل المقاييس أمانةً علميةً واجبةً الأداء ممن يستطيع الاضطلاع بها من الباحثين ، كي يقدم للأجيال المتعاقبة صوراً لتلك الشخصيات البارزة في التاريخ الإنساني أقرب قدر المستطاع إلى الحقيقة والإنصاف، دون تزييف أو تبرير ، ودون ظلم أو تشويه أو تزوير .

وخصوصاً أولئك الأعلام وتلك المناهج التي كان ولا يزال لها دور فاعل ومتصل في الحياة الثقافية والاجتماعية على المستوى المحلي في أوطانها أو على المستوى المحلي والخارجي في بعض أجزاء المعمورة سواء كان ذلك دوراً إيجابياً محموداً أو سلبياً مذموماً .

ونحن نحسب أن الروايات التاريخية التي تناولت شخصية الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي الحسيني الهاشمي المولود بمدينة تريم حضرموت عام ٥٧٤ هـ والمتوفى بها عام ٦٥٣ هـ والطريقة الصوفية المنسوبة إليه ، وتنقلت بين المصادر التاريخية العلوية خصوصاً والحضرمية عموماً ، تعد من أبرز الروايات التي يجب أن تخضع للبحث والتحقيق والنقد الموضوعي لما لتلك الشخصية

والطريقة المنسوبة إليها من آثار متصلة وعميقة في الحياة الاجتماعية والثقافية في
حضر موت وخارجها.

إن القداسة التي أحاط بها بعض المتسبين إلى الفقيه المقدم محمد بن علي
باعلوي وإلى طريقته وتلك الروايات التاريخية التي تحدثت عنه وعن طريقته
الصوفية من جهة والهجمات التي أطلق سهامها خصومُه وخصومُ المتسبين إليه
بوجه خاص ، وخصومُ التصوف الإسلامي بوجه عام، من خلال مضامين تلك
الروايات ، جعلت الاقتراب منها والبحث والتحقيق فيها أمراً غير محمود العواقب
من جانب الفريقين ، على من يحاوله بإخلاصٍ وتجريدٍ بعيداً عن التبرير والتشويه ،
مما أدى إلى ندرة الدراسات العلمية المحايدة في المكتبات العربية والإسلامية عن
هذه الشخصية التي تركت بصمات عميقة ومؤثرة في التاريخ الحضري خاصة
والإسلامي بوجه عام .

ورغم أننا لا ندعي لهذا البحث المتواضع من جانبنا حول الفقيه المقدم محمد
بن علي باعلوي وطريقته التفرد والسبق أو الشمول والإحاطة أو العصمة من
الخطأ والسهو والقصور، إلا إن الأمل يحدونا في أن يكون ما تطرّق إليه هذا
البحث المتواضع دعوةً مخلصَةً وصادقةً للباحثين والدارسين من بني علوي
وغيرهم لكي يعطوا لهذه الشخصية وطريقته الممتدة إلى أقطار عديدة في آسيا
وأفريقيا وأوروبا المزيد من الدراسات العلمية العميقة والمحايدة.

إن الجمود والتحجر أمام التراث التاريخي الذي سطره السابقون من السلف في كتبهم ومؤلفاتهم حول شخصية الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي والطريقة المنسوبة إليه وما يكتنزه ذلك التراث من روايات يتسم الكثير منها بالانقطاع أو التناقض ، وتفوح من بعضها رائحة الأغراض الشخصية وتصفية الحسابات المعنوية القديم منها والحديث ، على أساس عقائدي بأن كل ما أورده ذلك التراث من روايات هي صحيحة قطعية يجب التسليم بها جملة وتفصيلاً ، وإلى درجة الارتفاع بذلك التراث كجهد إنساني إلى درجة العصمة من الخطأ والقصور والدس والتحريف ، أو إلى المنع المتعالي الجاهل من مناقشة محتويات ذلك التراث التاريخي والحيلولة دون وضع ما يجويه من روايات وأخبار وقصص من جانب الدارسين والباحثين المنصفين على طاولة التحقيق والبحث العلمي والنقد الموضوعي والتقييم العقلاني.

نقول : إن كل تلك الدعاوى تعد عاهات أُبتلي بها أصحاب الجهل المركب

في كل جيل عبر التاريخ الإنساني.

ومثل هذا الجمود والتحجر والدعاوى المتهاففة -في اعتقادنا- لا يعدو أن

يكون شهادة وفاة يكتبها الجامدون والمترهلون فكراً للمدرسة أو الحركة التاريخية التي يتمون أو ينسبون أنفسهم إليها أو بداية تحضير لموكب جنائزي يحمل فيه أولئك المترهلون والجامدون تراث تلك المدرسة أو الحركة إلى متحف التاريخ بين

المدارس والحركات المحنطة التي انتهى عمرها وفقدت صلاحيتها بالنسبة للحاضر والمستقبل.

إننا من خلال الوقوف أمام معظم التراجم التي اطلعنا عليها لعلماء حضرموت وأعلامها التي جُمعت ونُشرت منذ القرن التاسع الهجري وحتى نهاية القرن الثالث عشر ، بعد استثناء ما توفر على كتابته الإمام عبدالله بن علوي الحداد رحمه الله ، يتضح بجلاء أن مكانة الفرد منهم علماء وعملاً تركز في تلك التراجم على عدد وكثرة وغرابة الكرامات والشطحات التي تُنسب إليه ، وهي ظاهرة سادت العالم الإسلامي في عصور الانحطاط والترهل والجمود ، ولم تكن حضرموت بدعاً بين البلاد الإسلامية .

لقد صار في تلك الأزمنة وما بعدها تكرار النقل عن كتب السابقين وجمع الشطحات دون تحقيق أو تمحيص وحتى ربما اختلاقها ووضعها أمراً عاماً في كتب التراجم وكتب التصوف التي لم يسلم منها إلا القليل.

يقول الشيخ أحمد بن حسن المعلم في كتابه «القبورية في اليمن» ما نصه :
(وصوفية اليمن في الغالب مقلدون ناقلون عن سبقهم من صوفية الشام ومصر والمغرب والعراق وغيرها)^(١) .

ومن ينظر في كتب مثل : «جامع كرامات الأولياء» للشيخ يوسف النبهاني ، وكتاب «مرآة الجنان» للشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي ، و«روض الرياحين» ونشر

(١) القبورية في اليمن (صفحة ٣٩٦) .

المحاسن الغالية» له ، و«الطبقات الكبرى» للشعراني ، و«الروض الفائق في المواعظ والرفائق» للحريفيش وغيرها المئات من الكتب في هذا المجال، سيجد أن بني علوي خاصة والصوفية الحضارم عامة في العصرين المملوكي والعثماني الموسومين بالانحطاط والترهل كانوا كالقطرة من بحر محيط بالمقارنة مع غيرهم من صوفية العصرين المذكورين في مختلف البلاد الإسلامية شرقها وغربها.

وحتى السلفيين من أتباع ابن تيمية وابن عبد الوهاب الذين سُنّوا ويشنون هجوماً متصللاً على التصوف والصوفية بسبب من هذا الدعاوى والشطحات، يوجد في كتبهم وتراجمهم لأعلامهم ما يرتفع بهم إلى مصاف أكابر المغرقيين في جمع الشطحات والكرامات لشيخوهم ، بل وربما إلى درجات أعلى وأغرب في مجال الشطحات والدعاوى من أشد الصوفية غلواً وشطحاً ، ومن ينظر في كتاب «السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل وشرحه للبرهاري ، و«طبقات الحنابلة» لابن الفراء ، و«مناقب أحمد بن حنبل» لابن الجوزي ، و«العقود الدرية في مناقب ابن تيمية» لابن عبد الهادي، وكتاب «التذكرة والاعتبار» لأحمد بن إبراهيم الواسطي، وغيرها يظهر له صدق ما نقول.

وتجدد الإشارة إلى أن مؤلفي التراجم والتاريخ العام من بني علوي وغيرهم من الحضارمة قد برز فيهم عند بزوغ عصر النهضة منذ بداية القرن الرابع عشر الهجري مؤرخون وباحثون تخلّوا بشكل ملحوظ عن نهج من سبقوهم في كتابة البحوث العقدية والاجتماعية والتراجم والتاريخ العام ، وحرصوا على أن يكونوا

على درجة لا بأس بها من الموضوعية في بحوثهم ودراساتهم وتحليلاتهم بوجه عام ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر العلامة عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف والعلامة علوي بن طاهر الحداد والعلامة محمد بن عقيل بن يحيى والعلامة محمد بن هاشم بن طاهر والأساتذة المؤرخين سعيد عوض باوزير ومحمد عبد القادر بامطرف وعلي عقيل بن يحيى وسالم فرج مفلح وحسين محمد البار وغيرهم ، وإن كان من يتتهجون النهج السابق في مجرد نقل الروايات الضعيفة والمجهولة والشطحات في التراجم والتاريخ العام دون تحقيق ونقد ويتغنون بها ويتهمون من ينقدها بموضوعية وحيادية وعلم بالزندقة والانحراف متوفرين بكثرة حتى يومنا هذا وإلى ما شاء الله ومتمتعين بسوق رائجة بين أصناف المتعلمين والباحثين عن الشهرة والوجاهة والراغبين في المرتقيات السهلة إلى ما يظنونهم علماء ودعوة ومكانة اجتماعية من زمرة باقل^(١) واتباع كل ناعق.

وفي الختام فإننا على يقين أن هذه المَلاحظ والتحفظات والنقد المدعم بالدليل والحجة الذي سطرناه بكل صراحة وصدق في بحثنا هذا ستحرك ضدنا

(١) باقل : هو رجل من بني قيس بن ثعلبة ، يُضرب به المثل للعي والبلادة ، ومما رووه عنه أنه اشترى ظيباً بأحد عشر درهماً ، فمر بقوم فقالوا : بكم أخذت الظبي ؟ فمد يديه ، وأخرج لسانه ، يريد بأصابعه عشرة دراهم وبلسانه درهماً ، فشرذ الظبي حين مد يديه ، وكان الظبي تحت إبطه ، فجرى المثل بعيه ، وقيل : أشد عياً من باقل ، وأعيا من باقل . من كتاب المعارف للدينوري صفحة (١٣٦) وكتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (٣٩٥/١٢).

«حلف الأضداد» الذي يجمع بين أساطين النواصب من جهة وأعلام الترهل والجمود والدعوى المعاصرين «في قومنا» من جهة أخرى.

لكننا لا نأبه بضجيج «حلف الأضداد» وعجيجه ، وهذا أمر قد اعتدنا عليه وألقينا مبكراً بكل ما يصلنا من إفرازاته في سلال المهملات وفي يدنا عود ، لأن الحقيقة والإنصاف دون تبرير متهافت من جهة ودون تشويه وظلم وتزييف للحقائق من جهة أخرى ، هما غايتنا ومبتغانا في كل ما نكتب ونقول.

ونؤكد هنا أن الردود التي نتلقاها على ما نكتب أو نطلع عليها المؤسسة على النقد الموضوعي ، وعلى الاختلاف في الرأي المبني على الدليل والحجة ، وعلى البحث العلمي الجاد في أي موضوع طرناه بعيداً عن الشخصية والتجريح وعبادة الموروثات التاريخية الإنسانية هي وحدها التي نوليها كل الاهتمام ونتجاوب معها بكل إخلاص ونحترم أصحابها وناقشهم بكل تقدير وموضوعية.

وبالله وحده من قبل ومن بعد نستعين وعليه نتوكل ، ومنه نرجو التوفيق والعون والسداد وهو من وراء القصد.

مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله العطاس

البحث عن الحقيقة

في نشأة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي
وعلمه وأصول طريقته

تأليف

مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله العطاس

التصوف والطرق الصوفية :

يقول العلامة الصوفي أحمد بن محمد زروق في القاعدة الأولى من كتابه

«قواعد التصوف» :

(الكلام في الشيء فرع من تصور ماهيته وفائدته بشعور ذهني مكتسب أو بديهي ليرجع إليه أفراد ما وقع عليه رداً وقبولاً وتأصيلاً وتفصيلاً)^(١).

ثم يقول : (ماهية الشيء حقيقته ، وحقيقته ما دلّت عليه جملته ، وتعريف ذلك بحد هو أجمع ، أو رسم هو أوضح ، أو تفسير هو أتم لبيانه وسرعة فهمه ، وقد حُدَّ التصوف ورُسِمَ وفُسِرَ بوجوه تبلغ نحو الألفين ، مرجع كلها ل: صدق التوجه إلى الله تعالى)^(٢).

ويستطرد الشيخ أحمد زروق في تعريف التصوف فيقول فيه: (وصدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه ، ولا يصح مشروط بدون شرطه)^(٣).

إذن فالتعريف الجامع للتصوف هو :

(صدق التوجه إلى الله تعالى من حيث يرضاه الحق تعالى

وبما يرضاه).

والطرق الصوفية هي: (الأُطر التي تقدم للراغبين الصادقين في التوجه إلى الله مصاديق هذا النهج من خلال سلسلة مشايخ صدقوا

(١) قواعد التصوف ص ٣ .

(٢) قواعد التصوف ص ٣ .

(٣) قواعد التصوف ص ٤ .

في التوجه إلى الله من حيث يرضاه وبما يرضاه تتصل إلى المتبوع
الأعظم رسول الله ﷺ .

طريقة السادة بني علوي الحسينيين :

طريقة بني علوي في التربية والتعلم والتعليم والسلوك والدعوة، هي التي
حدد لها أعلامهم مرجعية واحدة متمثلة في طريقة الآباء والجدود.

يقول الإمام عبد الله بن علوي الحداد:

(فهي طريقة تلقاها السادة بنو علوي طبقةً عن طبقة، وأباً عن جد، وتوارثوا
ذلك عن جدتهم الحسين وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وغيرهم من
أكابر أسلافهم إلى الآن، وبهذا تعرف أن طريقتهم ليست إلا الكتاب والسنة
و﴿هُم دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ [آل عمران: ١٦٣] ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥٠]
«ظهور الحقائق» ص ٨٥ .

وقال الإمام عبد الله بن علوي الحداد في رسالة للسيد علي الحنفي :

(وذكرتم أنكم أخذتم عهد الصحبة، عن السيد الولد المأذون له في ذلك منا:
عبد الرحمن بن علي، فنعم ما التمستم ونعم ما أسعفكم به، وتلك سلالة نبوية،
وصلات مصطفىوية علوية، تلحق الفروع بالأصول، والتابع بالمتبوع فالحمد لله
على ذلك وعلى جميع نعمه هنا وفيها هنالك)^(١).

ويقول الإمام الحداد في قصيدته الميمية التي مطلعها:

على ريم وادي الرقمتين سلامي وحسبي به في رحلتي ومقامي
نمتها القرون الصيد من آل هاشم إذ انتسبت جاءت بكل همام

(١) المكاتبات (ص ٢٤١ ج ٢) .

قد انتهجوا في نهج خير إمام
وسامي الذرى الماحي لكل ظلام
على الرضى الجالي لكل قتام
جناحين طيار بدار مقام
وزهرا العلا تعلقو بمسك ختام
وباقرهم والصادق المتسامي
وعيسى يليه السيد المتحامي
إلى الله والأحداث ذات ضرام

وأولاده بالرغم للمتعامي
وأسرارهم فليسأل المترامي
إلى كل خير حاز كل مرام
نواميس قهر للطغاة روامي
مصايح نور قد محت لظلام
ذكرنا كراما أعقبت بكرام
وما نحن عن حق لهم بنيام
وحسن مساعيهم بكل مقام

وعلي المرتضى حسب
نسباً ما فيه من دخن
منه سادات بذوا عرفوا
من قديم الدهر والزمن

من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
نبي الهدى بحر الندى سيد الورى
وخير وصي بعده ابن عمه
وحمزة والعباس مع جعفر أخى ال
وجاءت بأم المؤمنين خديجة
وسبطي رسول الله مع زين عابد
وعزز بنور الدين ثم بنجله
تحامى عن الدنيا وهاجر فار
إلى أن يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أولئك وراث النبي ورهطه
مواريتهم فينا وفينا علومهم
إذا جاء بالصدق الذي هو سلم
وكم حكمة عنهم وحكم وكم
يريدون أن يطفوا بأفواه زورهم
من السلف الماضيين والخلف
وانا على آثارهم وسبيلهم
مقرين بالتقصير عن شأو مجدهم
ويقول الإمام الخداد أيضاً:

ولنا خير الأنام أب
وإلى السبطين نتسب
كم إمام بعده خلفوا
وبهذا الوصف قد وصفوا

مثل زين العابدين علي وابنہ الباقر خير ولي
والإمام الصادق الحفل وعلي ذي العلى اليقين
فهم القوم الذين هدوا وبفضل الله قد سعدوا
ولغير الله ما قصدوا ومع القرآن في قرن
إلى أن يقول:

رَبِّ فَاَنْفَعْنَا بِبِرْكَتِهِمْ وَاهْدِنَا الْحَسَنَى بِحَرَمَتِهِمْ
وَأَمْتِنَا فِي طَرِيقَتِهِمْ وَمَعَاوَاةٍ مِنَ الْفِتَنِ
ومن ثمَّ فإنه حيثما يوجد لفظ (القوم) أو (الطريقة) في شعر الإمام الحداد
يتوجب الرجوع في فهم المقصود بهما عند الإمام الحداد إلى هذه القصيدة المباركة .

الأصل الذي يتفرع منه شيوخ طريقة بني علوي:

والأصل الذي يتفرع منه شيوخ الطريقة العلوية ويتصلون من خلاله
بأصولهم هو الإمام محمد (صاحب مرباط) بن علي (خالع قسم) بن علوي بن
محمد (صاحب الصومعة) بن علوي (صاحب سُمل) بن عبيد الله بن أحمد بن
عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق .

يقول الإمام عبد الله بن علوي الحداد في قصيدته العينية:

ونزيل مرباط إمام جامع أصل لأشياخ الطريق مفرع
ويقول السيد عيدروس بن عمر الحبشي علوي في كتابه «عقد اليواقيت
الجوهريّة» عن سلسلة أخذ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي والتي سماها
السلسلة الأولى:

(إنه تربي وتأدب بأبيه الشيخ علي وعمه علوي .

وهما تأدبا بأبيهما محمد صاحب مرباط .

- وهو تأدب بأبيه الشيخ علي خالع قسم .
وهو تأدب بوالده علوي بن محمد .
وهو تأدب بأبيه محمد بن علوي .
وهو تأدب بأبيه علوي بن عبيد الله .
وهو تأدب بأبيه عبيد الله بن أحمد .
وهو تأدب بأبيه الشيخ المهاجر أحمد بن عيسى .
وهو تأدب بأبيه الشيخ عيسى بن محمد .
وهو تأدب بأبيه محمد بن علي .
وهو تأدب بأبيه علي بن الإمام جعفر الصادق .
وهو تأدب بأبيه الإمام جعفر الصادق .
وبأخيه الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق .
والإمام جعفر تأدب بوالده الإمام محمد الباقر .
وهو تأدب بوالده الإمام زين العابدين علي بن الحسين .
وهو تأدب بوالده وعمه سبطي الرسول، ونجلي البتول، الحسن والحسين .
وهما تأدبا بأبيها الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضوان الله عليهم
أجمعين .

وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تأدب بالنبي ﷺ ، والنبي ﷺ يقول: (أدبني ربي فأحسن
تأديبي). انتهى (١) .

(١) من عقد اليواقيت الجوهريّة (ج ٢ ص ١١٠٢ و ١١٠٣) .

وقال أيضا في «عقد اليواقيت» نقلاً عن كتاب «البرقة المشيقة في ذكر لبس الخرقه الأنيقة» للإمام علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف المتوفى سنة ٨٩٥ هـ رحمه الله. وتجدر الإشارة إلى أن كتاب «البرقة المشيقة» هو من أوائل الكتب التي ألفها مؤلف من بني علوي حسب ما ذكرت أغلب مصادرهم ومصادر غيرهم من المؤرخين والباحثين.

يقول الإمام علي بن أبي بكر في «البرقة المشيقة»:

(إن سيدنا الأستاذ الأعظم، الفقيه المقدم، لبس الخرقه الشهيرة، المباركة المنيرة، من يد والده الشيخ علي، والشيخ علي لبس من يد والده الشيخ العلامة الإمام جمال الدين محمد بن علي صاحب مرباط
(.....)

وساق الإمام علي بن أبي بكر في «البرقة المشيقة» السند المتقدم ذكره ابناً عن أب، وهو يقول عند ذكر كل إمام من أجداد الفقيه المقدم: وهو لبس من يد والده فلان، إلى أن قال :

(عن جدهم الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: وهو لبس من يد والده أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو لَبَسَ من رسول رب العالمين، بواسطة الروح الأمين، والحمد لله رب العالمين). انتهى^(١).

(١) من عقد اليواقيت الجوهريّة (ج ٢ ص ١١٠٣).

وقال السيد محمد بن علي خرد باعلوي المتوفى سنة ٩٦٠هـ في كتابه «غرر البهاء الضوي»: (فأقول وأنا الفقير إلى كرم الله ولطفه، الشريف السني، العلوي الحسيني، محمد بن علي بن علوي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الشيخ المربي الرباني الشيخ عبد الله بن الشيخ علوي بن الفقيه محمد بن علي: حكمني الشيخ الإمام القطب الكبير الكامل، علي بن الشيخ أبي بكر بن الشيخ السقاف عبد الرحمن بن محمد بن علي، وقرض من شعري بالمقراض، في أوان صغري وسن تميزي، وأذن لي وحكمي وألبسني الخرقة ولده الشيخ الولي عبد الرحمن بن علي، وأخذت عنه يد التحكيم بجميع أنواعه وأحكامه، وآداب إلباس الخرقة وتوابعه، بجميع نعوته الموصوفة المعروفة، بجميع صفاته وطرقه المشهورة، وأيديها المباركة المذكورة، ونسبتها المسلسلة المذكورة .

كما ألبسه والده الشيخ علي وعمه الشيخ العيدروس عبد الله بن أبي بكر .

كما ألبسهما والدهما الشيخ أبوبكر، وعمهما الشيخ عمر بن الشيخ عبد الرحمن .

كما ألبسهما والدهما الشيخ السقاف عبد الرحمن .

كما ألبسه والده الشيخ محمد بن علي مولى الدويلة .

كما ألبسه والده الشيخ علي، وعمه الشيخ عبد الله أبناء الشيخ

علوي.

كما ألبسهما والدهما الشيخ الكبير علوي.

كما ألبسه والده الفقيه محمد (مقدم التربة).
 كما ألبسه عمه الشيخ علوي، ووالده الشيخ علي .
 كما ألبسهما والدهما الشيخ الفقيه محمد بن علي، عُرفَ
 بـ(صاحب مرباط)^(١).

ثم قال العلامة خرد في موضع آخر من كتابه: (وقد تقدم أولاً ذكر
 طريقة الفقيه في نسبة الخرقه المذكورة، واتصال سلسلة الإسناد
 بالسادة الأجداد، والمشائخ الحسينيين الأفاضل الأمجاد)^(٢).

وقال العلامة علوي بن طاهر الحداد في «عقود الإلماس» (ج ٢ ص ٤٥):
 (أما الشيخ العلامة الفقيه المحقق شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد
 بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي المولود سنة ٩٠٩ والمتوفى سنة ٩٧٤ هـ
 فله في هذا النسب الطاهر كلام مشهور في أحد معجميه وفي إجازاته وقد ذكر في
 معجمه ذلك بقوله:

(ولي طريقة عالية المقدار لأن مشائخها من أولهم إلى آخرهم من
 آل البيت كل عن أبيه، قال القطب أبو بكر العيدروس: لبستها عن أبي عبد
 الله العيدروس عن أبيه، فساق سلسلة أسمائهم إلى علي فيآلى النبي صلوات الله عليه
 وعليهم وسائر آله).

ولم يذكر الشيخ بن حجر واسطته في الإلباس ولعله العلامة الصوفي المبرز
 شيخ الأوسط العيدروس عن أبيه عبد الله لأن الشيخ ابن حجر لم يدرك من عُمرِ

(١) غرر البهاء الضوي (ص ٥٩٨ و ٥٩٩).

(٢) غرر البهاء الضوي (ص ٥٩٨ - ٦٠١).

سيدنا أبي بكر العيدروس إلا خمس أو ست سنين لوفاة العيدروس سنة ٩١٤ هـ وكانت ولادة الشيخ بن حجر سنة ٩٠٩ هـ).

الأسس الثابتة في الطرق الصوفية:

تجدر الإشارة إلى أن الأطر التربوية والعلمية والروحية المسماة بالطرق الصوفية تلتزم بالثوابت التالية كما شرح ذلك الكثير من مشايخ الصوفية:

أولاً: سند الأخذ والإجازة والسلوك الأول المتصل شيخاً عن شيخ إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله والذي يطلق عليه (سلسلة الأخذ والإجازة) هو وحدة سند التحكيم والإرادة والانتفاء الأساسي لكل منتسب إلى تلك السلسلة .

ثانياً: الشيخ الأساسي الذي يتحكم ويحكم له المرید في الطرق الصوفية يكون واحداً فقط .

وفي هذا الجانب نجد القول الفصل عند مؤسس الطريقة العطاسية العلوية الإمام عبد الله بن علوي بن حسن العطاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله بالنص:

(ومن المقرر عند أهل هذا الشأن، والمحقق عند أئمة العرفان، أن الفقير لا ينتج إلا بتربية أستاذ واحد، فمن كان متلقياً أحكام التربية في وقت واحد من أستاذين لا يفلح أصلاً، بل لا يتيسر ذلك لما سبقت به من التوحيد العلمي العملي حكمة العلي الأعلى، ومهما ظن الفقير أن أحداً غير أستاذه الذي أخذ عنه الإرادة أكمل منه في هذا

الوصف، لا ينتفع بأستاذه، ولا تشرق عليه أنواره، ولا تودع فيه نفائسه وأسراره^(١).

ومن ثمَّ فإنَّ شيوخ السلسلة الأولى هم الأئمة لكل متمم إلى الطريقة والقدوة المطاعة من خلال الشيخ المباشر الذي يتم التحكم له والانتساب إلى الطريقة بالأخذ عنه والتلمذ عليه والذي يكون شيخاً واحداً فقط ويمثل صلة الوصل في الأخذ والإلباس والسند والتأدب بين السالك وشيوخ السلسلة. كما أوضح ذلك مؤسس الطريقة العطاسية في كتابه «ظهور الحقائق في بيان الطرائق» كما نقلنا ذلك عنه.

ثالثاً : إذا كان شيوخ الطريقة يؤكدون قولاً وفعلاً التزامهم والتزام طريقتهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فإن لكل طريقة عبر سلسلتها أعلاماً من شيوخها اضطلعوا بمهمة تقعيد قواعدها وترسيخ نهجها وتحديد مصادرها وانتفاءاتها، ومن ثمَّ تكون الإشارة إليهم أكثر وضوحاً في نتاج أعلامها نظماً ونثراً.

رابعاً : السلسلة الثانية والثالثة والرابعة... إلخ، عند أي شخص تعد سلاسل تبرك وليس سلاسل تحكيم ومرجعية وهي كطلب الأخذ والإجازة تبركاً من أي شيخ من شيوخ العلم والتقوى والزهد. وفي ضوء هذه الأساسيات الثابتة في الأطر التربوية الروحية السلوكية، المسماة بالطرق الصوفية، يمكن طرح سؤال مهم حول طريقة السادة بني علوي:

(١) ظهور الحقائق (ص ٤٠، ٤١).

ما هي السلسلة الأولى: سلسلة التحكيم والإرادة والانتماء الأساسية للطريقة العلوية؟ .

والإجابة على هذا السؤال نجدها عند قطب الدعوة والإرشاد ومحى طريقة السادة بني علوي الإمام عبد الله بن علوي الحداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله الواضح كما أشرنا إليه آنفا:

فهي طريقة تلقاها السادة بنو علوي طبقة عن طبقة، وأبا عن جد، وتوارثوا ذلك عن جدهم الحسين وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وغيرهم من أكابر أسلافهم إلى الآن، وبهذا تعرف أن طريقتهم ليست إلا الكتاب والسنة و﴿هُمْ دَرَجَتْ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ [آل عمران: ١٦٣] ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]... إلى أن قال: ومن خالف طريقة السادة بني علوي بحيث يضادها فهو من السبل المتفرقة عن سبيل الله) انتهى (١) .

وفي قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(لا ينبغي لأحد من آل باعلوي أن يخالف المنهج الذي درج عليه أسلافه، ولا أن يميل عن طريقتهم وسيرهم، بأن يتبع وينجر ويلقي القيادة لكل من يدعي التسليك والتحكيم ممن تخالف سيرته وطريقته طريقة آل باعلوي، لأن طريقتهم هي التي يشهد لها الكتاب العزيز والسنة الكريمة والأثار المرضية وسير السلف الكرام؛ لأنهم تلقوا

(١) ظهور الحقائق (ص ٨٥).

ذلك خلفاً عن سلفٍ وأباً عن جدٍ إلى النبي ﷺ ، وهم في ذلك متفاوتون،
فمن فاضل وأفضل وكامل وأكمل) . انتهى (١) .

العلاقة بين طريقة بني علوي والطريقة الشيعية :

يعد كتاب «الجوهر الشفاف» للشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب التريمي المتوفى سنة ٨٥٥ هـ من أبرز وأول المصادر - إن لم يكن أولها - التي يعتمد عليها القائلون بأن طريقة الشيخ أبي مدين شعيب بن حسين التلمساني المغربي هي الطريقة الأساس لطريقة السادة بني علوي حيث تعتبر عندهم طريقة بني علوي فرعاً من فروعها.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب في «الجوهر الشفاف» حول أخذ الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط باعلوي طريقة الشيخ شعيب ما نصه:

(الحكاية السابعة والعشرون :

روى المشايخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أنه قيل لشيخ شيوخنا الشيخ الفقيه محمد بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أنه لا يفك قفل قلبك إلا الشيخ عبد الرحمن المقعد .

وكان الشيخ عبد الرحمن المقعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تعالى إذ ذاك بمكة حرسها الله تعالى فسار الفقيه شيخ شيوخنا قاصداً نحوه ، فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع إلى بلده ، وكان الشيخ عبد الرحمن المذكور رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أكابر تلامذة الشيخ الكبير خاص الخواص أبي مدين رضي الله تعالى عنه ، وكان شيخه أبو مدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد أمره بالسفر إلى حضر موت وقال له : إن لنا فيها أصحاباً سر إليهم

(١) ظهور الحقائق (ص ٦٣).

وخذ عليهم عقد التحكيم ولبس الخرقة أو كما قال ، وقال : ولكنك لا تصل إليهم بل تموت في أثناء الطريق وترسل إليهم من يأخذ عليهم ذلك ، فسافر الشيخ عبد الرحمن طالباً حضر موت ، فلما بلغ أثناء الطريق حضرته الوفاة فأحضر تلميذه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد الله الصالح المغربي ، وكان من أولاد ملوك المغرب ، فأثر سلوك هذه الطريق ففُتِح له ، وكان من كبار تلامذته ولهما الكرامات الخارقة ، والإشارات المفيدة الفائقة ، وأمره بالمسير إلى حضر موت ، وقال له ما قال له شيخه أبو مدين رضي الله تعالى عنه ومات .

وفي رواية : أنه قال أيضاً : اذهب إلى حضر موت تجد الفقيه محمد بن علي أبو علوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مروان يستقي منه العلم ، طارحاً سلاحه على رجله ، فاغمره من عند الفقيه وحكّمه ، واذهب إلى (قيدون) تجد فيها سعيد بن عيسى فحكّمه .

قال الشيخ عبد الله : فلما وصلت (تريم) وجدت الفقيه محمد بن علي كما قال الشيخ عبد الرحمن : فغمزته وحكّمته ، وما شاور أبا مروان ، فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقة ، اغتاض عليه ، وقال له : رجوناك إماماً مثل ابن فورك فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي الصوفية ، أو كما قال ، فقال محمد بن علي : الفقر خير ، وهاجره أبو مروان إلى أن توفي . وستجيء حكايتهما في ذلك إن شاء الله تعالى . فسافر الشيخ عبد الله ، فلما وصل حضر موت اجتمع بشيخ شيوخنا الفقيه محمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

قال له الشيخ عبد الله : أي لؤلؤة لو نُقبت ؟ .

فقال الشيخ محمد : وما الثُقب ؟ .

قال : التحكيم ، فانخلع الشيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم وتحكّم للشيخ عبد الله ولبس منه الخرقة ، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية ، ورغب في صحبة الصوفية (انتهى من «الجوهر الشفاف» .
وهنا تبرز أماننا الملاحظ والتساؤلات التالية .

١ - ولد سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي رحمه الله سنة ٥٧٤ هـ وتوفي سنة ٦٥٣ هـ أي في القرن السابع الهجري ، أما الشيخ عبد الرحمن الخطيب صاحب «الجوهر الشفاف» راوي هذه القصة فقد توفي سنة ٨٥٥ هـ أي في القرن التاسع الهجري ، فالزمن الفارق بين الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي والشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب صاحب «الجوهر الشفاف» هو أكثر من ٢٠٠ سنة .

لكن رغم هذا الفارق الزمني الكبير بين الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي والشيخ الخطيب فإن الحكاية المذكورة أعلاه التي رواها الشيخ الخطيب كلها مبنية على (روى المشايخ) وعلى (قيل) دون ذكر سنده في رواية هذه القصة .

يقول الشيخ عبد الرحمن الخطيب رحمه الله عن كتابه «الجوهر الشفاف» وعن مصادره فيما رواه من حكايات في ذلك الكتاب:

(أما بعد فإني لما كنت محباً للأولياء والصالحين والسادات مولعاً بحكاياتهم وفضائلهم السنيات ، ورأيت العلماء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين ، قد صنفوا كتباً في فضائلهم العالي الفائق ، وحكاياتهم الخوارق ، ورأيت بلدنا تريم ، حرسها الرحمن الرحيم ، بالقرآن العظيم ، والنبي الكريم ، كثيرة الأولياء والعلماء والصالحين ومشايخ الصوفية العارفين ، منهم المشهورون ومنهم المستورون ، ولكن غبي آثارهم ،

وخفي على أهل زماننا غالب صالحيتها وأعيانها البتة ، واندرست ونسيت أعلامهم وفضائلهم بالكلية ، لا سيما المتقدمين الذين منهم في القرن الخامس وما قبله ، وأنهم خفيوا مع فضائلهم جملة ، ورأيت بعض من بقي منهم يعرف فيها ويزار ويتبرك به وهو معروف بين الناس ، وبعضهم غابراً لَمَّا يعرف ، بل قبره بالأقدام يداس ، ولم يتصدر أحد لجمع حكايات هؤلاء البقية المعروفين الملاح ، ولا لنشر فضلهم العالي الطفاح ، حتى نسي أيضاً أكثرهما ، ولم يبق منهما إلا أقل القليل ، كل ذلك من طول الزمان ، وغلبة النسيان ، وقلة المذاكرة ، فيهم ، أحببت أن أولف كتاباً أذكر فيه من اشتهر من هؤلاء البقية بكرامة ، أجمع فيه حكاياتهم ، وأنشر بعض ما بقي من فضلهم وكراماتهم^(١).

ثم يقول عن مصادر كتابه بعد ذكر فصول الكتاب الأربعة والحكايات الخمسمائة التي يحويها الكتاب وطبقات المترجم لهم فيه:

(وأكثر حكايات الطبقات الثلاث الأول يرويها الشيخ خاص خواص المشايخ الكبار ، معدن العلوم والمعارف والفضائل والأسرار ، والشريف المري ، عبدالله بن الشيخ علوي ، والشيخ العارف بحر العلوم والمعارف ، أبو بكر بن أحمد أبو علوي ، والشيخ قطب الدين والأولياء والسادات الجامع بين علمي الظاهر والباطن ذو الكرامات الخارقات عبد الرحمن بن الشيخ محمد أبو علوي ، وأخوه الشيخ علوي ، والشيخ أمام العارفين الورعين وحجة الله تعالى على الزاهدين حسن بن علي أبو علوي ، والشيخ عالي المقامات ذوي الكرامات العظام محمد بن الشيخ علي الخطيب ، وابنه التقي الصالح العارف المحقق

(١) الجواهر الشفاف (ج ١ ص ٤).

أحمد، والشيخ إمام الطريقتين ومقدم الفريقتين أبو العباس فضل بن عبد الله أبو فضل، والولي الفاضل الورع المعلم الكامل محمد بن عبد الله بن أبي عيسى . وغير هؤلاء المذكورين أيضا من الأعيان المشهورين رويها أصاغر عن أكابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم وجعل الجنة مسكنهم ومأواهم وأعاد علينا من بركاتهم آمين . وكان الشيخ حسن الورع بن علي المذكور قد كتب أكثرها فنقلناه من كتابه، وقليل من حكايات الخطباء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ نقلناها من كتاب سليمان بن أحمد الخطيب مسنداً إلى من روى عنه .

وإنما ذكرت هؤلاء المشايخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لأنني أقول في بعض الحكايات : (روى المشايخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ)، وإنما أعني هؤلاء المذكورين أو بعضهم ، فذكرتهم هنا لأستغني بذلك عن تكرار الإسناد ، وقد أسند بعض ما روي إلى أحدهم أو إلى من روي عنه ، وأترك الإسناد كل ذلك طلباً للاختصار ، وبعض ما بقي منها أعني من حكايات الطبقات الثلاث الأولى مستفاض في البلاد، مشهور بين الكبار والأولاد ، فلا يحتاج مع ذلك إلى إسناد ، فأقول : (روي) ، وقليل منها مشهور بين بعض الناس دون بعض فأقول فيها : (حكى) .

وأما الطبقة الرابعة منها فمشايخها قريب من زماننا ولحقنا بعضهم فروينا بعض حكاياتهم عن رواياتهم بأنفسهم، وبعضها عن ثاني راوٍ أو قريب من ذلك ، وبعضها مشهور بين بعض الناس فأقول : (حكى) كما سبق في الطبقات الأولى، وأقول أيضا كذلك فيما ورد في الفصل الثالث في فضل تريم وفضل مقبرتها وفضل جبالها وبركاتهن ، وفيما ورد أيضا من صفات أهلها السنية ، وأفعالهم المرضية ، (وقد أغير بعض بناء الحكايات ، ثم انظر إلى معنى الحكاية

وصورتها ثم أثبتها على رسمها بما حسن من البناء ، وأتكلم فيها على لسان ولا أعبئ فيما سبق بزايد اللفظ وناقصه ، وسابقه ولاحقه ، وأبدل في بعضها بعض الألفاظ)، وحذفت الإسناد من الطبقات الثلاث الأول ، وكما قال في ذلك الإمام الجليل العارف بالله تعالى عبد الله بن أسعد اليافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، طالباً للاختصار ، وخوفاً من الإملال والإكثار، وعلماً بأن من ليسوا له فيهم اعتقاد لا يفيد فيه كثرة الإسناد ، وأما من اعتقدهم فإنه ينتفع بكل ما يسمع عنهم ولا يتوقف على ثبوت الإسناد القولية ، كثبوت الأحاديث النبوية ، إذ ليس يترتب على ذلك شيء من الأحكام الشرعية ، بل مجرد حكايات وعظية^(١).

والملاحظ على ما وردة الشيخ الخطيب رحمه الله حول أسانيد كتابه «الجوهر الشفاف» تتخلص في :

أن كل محتويات الكتاب هي مجرد حكايات وعظية مجردة من الأسانيد المتصلة فبعضها عن أشخاص لم يذكر الشيخ الخطيب في أي العصور عاشوا ولا سنده إلى كل واحد منهم فيما يرويه عنه ، ولا الرواية أو مجموع الروايات التي تلقاها عن كل واحد منهم ، وبعض تلك الحكايات من المشهور المتداول بين الناس كافة وهذا النوع من الشهرة تكون عادة من خواص الأساطير والقصص الشعبي ، وبعضها نقلها من كتب بعض المشايخ دون أن يذكر الحكايات المنقولة من تلك الكتب بالتحديد ، وهو إلى ذلك كما يقول يغير في بعض بناء تلك الحكايات ويبدل في بعضها بعض الألفاظ ويطلب من القاري قبولها بحسن الظن وحسن الاعتقاد فيمن أورد حكاياتهم لينتفع القاري بها.

(١) الجوهر الشفاف (ج ١ ص ٧-٩).

ولا اعتراض على أسلوب الشيخ وطريقته في نقل حكاياته من حيث هي حكايات بصرف النظر عن مدى صحتها ، كما لا اعتراض على من يقرأها بحسن الظن وحسن الاعتقاد كما يقرأ كتب الكرامات والحكايات ك«الروض الفائق» و«جامع كرامات الأولياء» و«روض الرياحين» وغيرها من الكتب التي تنسج على هذا المنوال ،

لكن المشكلة تكمن عند من يتخذ كتاب الشيخ الخطيب مصدراً تاريخياً لحياة شخصيات تاريخية كان لها الأثر الباقي في حياة مجتمعها وغيره من المجتمعات كالفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي على سبيل المثال ، وبعبارة أوضح فالمشكلة تكمن عند من يريد أن يرسم صورة تاريخية متكاملة لشخصية اجتماعية أو علمية أو صوفية تركت عبر مسيرة حياتها بصمات علمية أو ثقافية أو اجتماعية أو سلوكية واضحة المعالم من خلال ما ورد في كتاب «الجوهر الشفاف» من حكايات ، وتكمن المشكلة أيضاً عند من يريد أن يتخذ من حكايات الشيخ الخطيب حجة يحتج بها في دراسته التاريخية لأي شخصية من هذا النوع المذكور ، لأن مثل هذه الشخصيات التي يكثر محبوها ومتبعو نهجها ويكثر في الوقت نفسه أعداءها وأعداء نهجها تتطلب الأمانة العلمية والإنصاف التاريخي من المؤرخ والباحث أن توضع كل رواية تروى عنهم أو عن سيرة حياتهم تحت مجهر التحقيق والبحث العلمي سنداً وامتناً لأن مجرد الاعتقاد الحسن وحسن الظن في تناول الروايات التي تروى عنهم أو فيهم أو تنسب إليهم دون تحقيق وبحث في أسانيدھا ومتونها قد تؤدي إلى نتائج مدمرة بين غلو مفرط فيهم عند بعض محبيهم أو تشويه ظالم لهم يتخذ منه أعداءهم أو أعداء نهجهم وسيلة للطعن فيهم وفي مناهجهم.

٢ - كانت وفاة الشيخ أبي مدين المغربي عام ٥٩٠ هـ حسب المصادر المغربية التي ترجمت له وكانت ولادة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي عام ٥٧٤ هـ باتفاق وبحساب رحلات رسول الشيخ شعيب إلى مكة ثم رسول رسوله من مكة إلى حضر موت كان لقاء هذا الرسول بالفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي قبل ثلاث سنوات من وفاة الشيخ شعيب على أقل تقدير أي أن عمر الفقيه المقدم آنذاك كان بين الحادية عشر والثانية عشر .

فهل كان من طبيعة الصبي الحضرمي في هذا السن المبكر في القرى الريفية في حضر موت في ذلك الزمن أن يجيب دعوة أي رجل غريب لا يعرف عنه أي شيء ويقبل منه أمراً يجهله وهو ما يدل عليه قول الفقيه المقدم محمد بن علي للشيخ عبد الله الصالح : (وما هو الثقب ؟) ويكون في هذا الاستدعاء من جانب الشيخ عبد الله الصالح المغربي للفقيه محمد بن علي باعلوي ، وفي هذه الاستجابة الفورية من الفقيه المقدم الذي لا يتجاوز سنه الثانية عشر ، وفي ما حملة له وأعطاه إياه هذا الشيخ المغربي تحولاً كاملاً من جانب الفقيه المقدم محمد بن علي ابن الحادية عشر أو الثانية عشر عن نهجه وأقرانه ونهج أهل بلده الذي تقول المصادر الحضرمية : أنهم كانوا أهل فقه وحديث وتمسك بعلوم الشريعة ولا يعرفون شيئاً عن التصوف وعلومه ومصطلحاته قبل ذلك التحول .

وهل من طبيعة ابن الحادية عشر أو الثانية عشر في تلك البلاد وذلك الزمان أن يتخذ قراره بالتحول السريع والكامل عن تلقي علوم عصره إلى نهج لا يعرف علماء وعامة أهل بلده أي شيء عنه دون أن يستشير شيوخه بل ودون إبلاغ واستشارة أعلام أسرته القرييين وفيهم أئمة أعلام لهم القدم الراسخة في علوم

ومعارف ذلك العصر كوالده الإمام علي بن محمد صاحب مرباط وعمه الإمام علوي بن محمد صاحب مرباط وشيوخه من أبناء عمومته الجهابذة كالعلامة الفقيه الأصولي سالم بن بصري والعلامة محدث الديار اليمينة في عصره علي بن محمد بن جديد وغيرهم !!؟ .

إن الناشئة في ذلك المجتمع الحضرمي كانت ولا تزال توجيهات آبائهم وأمهاتهم المتواصلة والمشددة عليهم وحتى القرن الرابع عشر الهجري بأن لا يقبلوا أي شيء من الغرباء، وأن لا يتعاملوا معهم أو يجالسوهم أو يصحبوهم إلا بعد استشارة أهلهم وشيوخهم وموافقتهم وبعد أن يقوم أولئك الأهل ببحوث دقيقة ومتأنية في التعرف على ذلك الغريب ومقاصده وسبب قدومه وسلوكه ، وحتى بعد أن يتجاوز الفتى سن الخامسة عشر من العمر وليس الحادية عشر أو الثانية عشر ، وهي قاعدة عامة في تلك البلاد بين أبناء العلماء والعامّة قاطبة جيلاً بعد جيل ، وقد أدركها والتزم بها جيلنا جيل القرن الرابع عشر الهجري بشكل كامل وحازم.

٣ - تقول هذه الحكاية ما نصه : (قال له الشيخ عبدالله : أي لؤلؤة لو

تُقبِت؟ .

فقال الشيخ محمد : وما الثُقب ؟ .

قال : التحكيم .

فانخلع الشيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم وتحكّم للشيخ عبد الله ولبس منه الخرقة).

ومضمون هذه الحكاية يعني أن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي لم يكن

يعرف شيئاً عن التحكيم وخرقة الصوفية ولم يلبس أو يتحكّم لشيخ قبل ذلك .

بينما نجد الإمام علي بن أبي بكر المعاصر للشيخ الخطيب صاحب «الجوهر الشفاف» يقول في كتابه «البرقة المشيقة» :

(إن سيدنا الأستاذ الأعظم، الفقيه المقدم، لبس الخرقة الشهيرة، المباركة المنيرة، من يد والده الشيخ علي، والشيخ علي لبس من يد والده الشيخ العلامة الإمام جمال الدين محمد بن علي صاحب مرباط)

والعلامة محمد بن علي خرد المتوفى عام ٩٦٠ هـ يقول في كتابه «غرر البهاء

الضوي» عن الإمام علوي بن الفقيه المقدم محمد بن علي :

(كما ألبسه والده الفقيه محمد (مقدم التربة)، كما ألبسه عمه الشيخ علوي، ووالده الشيخ علي، كما ألبسهما والدهما الشيخ الفقيه محمد بن علي، عُرفَ بـ(صاحب مرباط) كما ألبسه والده الشيخ الكبير نور الدين علي بن علوي،...).

ومحي الطريقة ومرجعها الموثوق الإمام عبد الله بن علوي الحداد يقول إن طريقة السادة بني علوي تلقوها أباً عن جد وتوارثوها عن أجدادهم كما نقلنا نصه آنفاً :

فهنا شبه إجماع عند أعلام بني علوي وغيرهم من الحفاظ والفقهاء المتصلين بهم على الحقائق التالية :

أ- إن الفقيه المقدم قد تأدب وأجيز ولبس وتحكم لأبيه علي بن محمد وعمه علوي بن محمد واتصل بسلسلتهم سلسلة الآباء والجدود ولم يكن جاهلاً بالتحكيم والإلباس والإجازة قبل قدوم الشيخ المغربي عبد الله الصالح ، ولم يحل ذلك دونه وتلقي علوم عصره من فقه وتفسير وحديث وأصول أو يتسبب في أي تناقض بين تلقي تلك العلوم ولبس خرقة التصوف ولم نسمع عن أي شيخ من مشايخه الذين

عددهم حفيده الإمام علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف أي اعتراض على لبسه الخرقة أو على طلبه للعلم مع لبس خرقة التصوف.

ب - إن سلسلة طريقة بني علوي الأساسية التي يتم من خلالها التحكيم والإلباس والإجازة والاتصال من جانب أعلام بني علوي لطالبي الإلباس والإجازة والتحكيم والاتصال بالفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي من أولادهم ومحبيهم هي سلسلة آبائهم وأجدادهم فقط كما هو واضح في كلام الإمام الحداد وفي الابتداء بها دائما عند من يسجل انتسابه العلمي أو الصوفي للفقيه محمد بن علي باعلوي من أعلام ذريته وغيرهم.

ج - إن القاعدة الصوفية المتفق عليها عند جميع الصوفية كما أشرنا أعلاه : هي أن شيخ التحكيم يكون واحد فقط ، ولا يجوز أن يتحكم الشخص لشيوخين على الإطلاق ، وإلا يكون قد استبعده الاثنان وصار غير جدير بالتحكيم طوال حياته كما نقلنا ذلك أعلاه عن عَلم من أعلام الشريعة والطريقة الإمام عبد الله بن علوي بن حسن العطاس المتوفى بحريضة عام ١٣٣٤ هـ وهو واحد من مؤسسي فروع طريقة بني علوي المتمثلة في الطريقة العطاسية العلوية ومن سلالة سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ومن ناشري طريقته خارج حضر موت عبر طريقته العطاسية العلوية.

والمعارف عليه عند الصوفية عامة أن الإجازات والإلباس بعد إجازة التحكيم والإلباس الأول تكون إجازة وإلباس تبرك تلتمس من أي شيخ يتوسم فيه الصلاح والتقوى لكن التحكيم والانتساب الروحي والمرجعي عند الصوفية يكون لشيخ التحكيم الأول فقط فكيف يتم الجمع بين هذا التناقض عند أعلام بني

علوي والعلامة ابن حجر من جهة والشيخ عبد الرحمن الخطيب في حكايته من جهة ثانية.

د- لو سلمنا بصحة الحكاية التي رواها الشيخ الخطيب فلا يستبعد أن يطلب والد الفقيه المقدم محمد بن علي أو أعمامه أو شيوخه الإجازة والإلباس والدعاء للفقيه محمد بن علوي باعلوي من الشيخ عبد الله الصالح المغربي تبركاً عند زيارته لحضر موت - إذا صحت تلك الزيارة - كما اعتادوا أن يطلبوا ذلك لأنفسهم وأولادهم من أي زائر لبلدهم من المغرب أو المشرق أو الشمال أو الجنوب بعد أن يتعرفوا عليه ويعرفوا سبب زيارته ويتوسموا فيه الخير والصلاح والتقوى والرغبة في الإفادة والاستفادة ، وهذا أمر كان معمولاً به إلى وقت قريب جداً.

هـ- ولو سلمنا جدلاً بصحة حكاية (روى المشايخ) و(قيل) هذه ، فيما رواه الشيخ الخطيب في «الجوهر الشفاف» ، فما الذي استدعى هذه الغضبة العارمة من الشيخ علي بامروان على تلميذه الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي حتى وصل به الأمر إلى أن يهجره - أي بامروان - إلى آخر لحظة من حياته.

إن التصوف المعروف ب(منهج التزكية والسلوك) المؤسس على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لا يتناقض أو يتعارض أو يتصادم مع التفقه في الدين عند المتصوفة والفقهاء على حد سواء.

وفي طبقات الصوفية نجد الجرم الوفير من الفقهاء الذين جمعوا بين الفقه والتصوف وكذا في طبقات الفقهاء العديد ممن تحكموا لشيخ الصوفية الأعلام المؤسس نهجهم على كتاب الله وسنة رسوله. ولا جدال في أن الصوفية والفقهاء الأجلاء من أهل السنة والجماعة قد سمعوا ووعوا منذ القرن الثاني الهجري قول

إمام دار الهجرة مالك بن أنس : (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد نفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق) وصوفية بني علوي المتتبعين إلى طريقة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وغيرهم من صوفية الحضارمة يجعلون طلب الفقه أو لا شرطاً في سلوك طريق التصوف وهذا ما قرأناه عنهم وما سمعناه من شيوخنا الذين كانوا يؤكدون ويشددون عليه.

والشيخ التقي العالم لا يهجر تلميذه هجراً مطلقاً حتى وفاته إلا إذا ارتكب التلميذ جرماً مشهوداً مخجلاً يشين الشيخ إبقاء علاقته به أو اعتنق عقيدة أو مذهباً يخرج من جادة الشرع الشريف مع الإصرار على هذا الانحراف.

إننا نلمس لدى صناع هذه الرواية غاية مبطنة تجريحية ظالمة لهذا الإمام الجليل من بني علوي تسعى إلى تركيب الشطر الأول من قول الإمام مالك بن أنس : (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق) عليه ، ليتسنى لهم بعد ذلك تلفيق ذلك الكم المرعب من القصص الخرافية والشطحات المدمرة ونسبتها إلى هذا الإمام من بني علوي ومن بينها قصة استحضاره لشيخه بامروان بعد موته من قبره في أحد مساجد تريم والصلح معه.

ولو سلمنا جدلاً - مرة أخرى - بصحة حكاية (روى المشايخ) و(قيل) هذه وبهجر الشيخ أبو مروان للفقير محمد بن علي باعلوي الصارم والتام هذا ، ألم يتسن للفقير محمد بن علي أو لأبيه وعمه أن يجدوا للفقير محمد بن علي فقيهاً آخر يواصل تدريسه الفقه حتى يبلغ مرتبة بعض المشايخ على الأقل في علم الفقه في بلد يدعي مؤرخوها أن بها ثلاثمائة مفتي في ذلك القرن!!! أم إن المطلوب عند فريق

التلفيقات والتجديف هذا التأكيد على عزوف الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي بالكلية عن الفقه وعن صحبة الفقهاء كما تقول هذه الرواية ، وبل عن كل علم من علوم عصره ليتفرغ للشطحات والدعاوى ، ولتسنى لهذا الفريق الملقق نسبة الرسائل المليئة بالشطحات والدعاوى المرعبة إليه التي قالوا : إنه كان يرسلها تباعاً إلى شيخه سعد بن علي الظفاري المقبور بالشحر وإلى الشيخ سفيان بن عبد الله الأيبي فيلقى من الشيخ سعد النصح الذي يصل إلى حد الزجر والتقريع ومن الثاني الشيخ سفيان الاستغراب والاستهجان .

وهذا يبرز الهدف المشبوه في أن يكون في سيرة هذا الإمام العلوي المظلوم :

شيخٌ يهجره .

وأخرٌ يزجره .

وثالثٌ يستهجنه .

ولعل كتاب «تحفة المرید» لمحمد عبد الله باطحن المشهور بتحامله على للفقيه محمد بن علوي باعلوي من أهم مصادر هذا الفريق في هذه القصص المتهافئة والتشويهات المتعمدة .

يقول الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف في كتابه «البرقة

المشيقة»:

(وإنما جرّنا إلى ذكر هذا الأنموذج من ذكر أخبار الشيخ المذكور الفقيه المشكور ما عرّض به صاحب كتاب «تحفة المرید وأنس المستفيد» في مناقب الشيخ سعد بن علي الظفاري لمّا شرح رسالتي الشيخ سعد بن علي اللتين هما جواب علي رسالتي الشيخ القطب المشهور الفقيه محمد بن علي باعلوي وأتى يتكلم على بعض

الكلمات ويدافع الحكم الكرييات المنسوبة إلى هذا القطب الكبير الفقيه محمد بن علي... (١) .

ثم يقول الشيخ علي بن أبي بكر عن الشيخ محمد باطحن :

(وشرع - أي باطحن - يشرحها ويتكلم على بيان معانيها وقواعد مبانيها ويغض من عالي منصب هذا القطب المشهور الفقيه المنور المشكور محمد بن علي ويأتي بمحاميل وطية ، وتلاحين ردية ، وتلاويح سفلية ، وتعاريض غرضية ، اتخذها بعض الجهلة الأغبياء والطغاة الأغوياء عدة في انتقاص من اجتمع فيه ما تفرق وتشتت من عظيم الكمالات في كَمَل الأقطاب المحمدين... (٢).

فهل كان كتاب الشيخ محمد باطحن هو المصدر الأول لتلك المراسلات المزعومة بين الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي والشيخ سعد بن علي الظفاري ؟ . وهل لدى بني علوي أو غيرهم مصدر آخر لتلك الرسائل غير الشيخ باطحن ؟ .

وإذا كان الأمر كذلك كيف وصلت إليهم تلك الرسائل من المصادر الأخرى غير كتاب الشيخ باطحن ؟ وأين توجد أصول تلك الرسائل ؟ .
والواضعون في أحيان كثيرة يضعون التجريح والذم في صورة المدح ليغتر به السذج ممن لا يميزون بين السذاجة وحسن الظن .
ورحم الله أبا الطيب المتنبى حين قال :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی

مضراً كوضع السيف في موضع الندي

(١) البرقة المشيقة ص ٩٥ .

(٢) البرقة المشيقة ص ٩٦ .

نموذج من القصص الملفقة

حول الفقيه المقدم محمد بن علي :

تقول هذه القصة المتهاففة التي ينقلها ويتناقلها البعض تحت لافتة حسن الظن برواتها وفي مقدمتهم الشيخ محمد باطحن ما نصه : (وأما سعد الدين بن علي الظفاري فمما كتب إليه -أي الفقيه المقدم- رسالتان، ذكر فيها بدائع من علوم المكاشفات، وغرائب المشاهدات، مذكور بعضها في كتب مناقبه، وكتب إليه الشيخ سعد يحذره من مكاييد الشيطان، ويخوّفه ويذكر له قصص المستدرجين، مخافة عليه ومحبة له، والشيخ الأستاذ محمد -أي سيدنا الفقيه المقدم- لا يزداد إلا قوة ورسوخاً في المعرفة، وكلما حذّره الشيخ سعد كرامة خوف الاستدراج، كتب إليه الشيخ محمد كرامة أعلى منها وأعظم).

إن الذي يريد أن يقوله مؤلف هذه القصص والرسائل أن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي كان مصراً على مخالفة مشايخه والإلقاء بنصائحهم وتحذيرهم له عرض الحائط، وكان مصمماً على الوقوع في حائل الشيطان ومكائده الذي يستدرجه إلى هاوية الشركيات والعياذ بالله. وعبارة (لا يزداد إلا قوة ورسوخاً في المعرفة) تظهر بجلاء لمن يملك مسكة من عقل أنها عبارة ملتوية نشاز في سياق القصة ربما كانت من الزيادات المتأخرة من جانب بعض من أراد أن يخفف وقع هذه الأوصاف التي تريد هذه القصة الملفقة أن تسبغها على هذا السيد العلوي وإلا

ما هي العلاقة بين مكائد الشيطان وقصص المستدرجين وبين القوة والرسوخ في المعرفة.

ولم تكتفِ هذه الروايات الملفقة بالعموميات في علاقة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي بل ذهبت في سبيل تأكيد أهداف ملفقيها إلى مزيد من التفاصيل المقرونة بشاهد مرعب متهافت لا يقوله أو يدعيه من له مسكة من عقل ، ناهيك بموحد مؤمن متواضع لله ورسوله موقن بأن بلوغ سدره المنتهى خصوصية لرسول الله ﷺ من ربه جل شأنه لم يصل إليها نبي أو رسول قبله ولم يفكر أحد لسبعة قرون قبل هذا الفقيه العلوي ولا من جاء بعده في إدعائها لغيره صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

فاستطردت القصص لتحقيق هذه الغاية إلى راوية هذه التلفية المقززة للطبع السليم التي تقول:

(ومن جملة ما كتب -أي الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي- إليه- أي إلى الشيخ سعد بن علي الظفاري- أنه قال: (عُرِجَ بي إلى سدره المنتهى سبع مرات، وفي رواية: سبعاً وعشرين مرة في ليلة واحدة، وفي رواية: سبعين مرة). فأجابه -أي الشيخ سعد الظفاري- برسالتين قال في أحدهما: (ثم أني أقول لك قول ناصحٍ محبٍ مشفق ، أن لا يكون قلبك متعلقاً بالكرامات ولا غيرها ، ولو ظهرت لك أي ظهور، وليكن قلبك متعلق بمحبة الله ، ولزوم حالك الذي أنت عليه ولو قامت عليك القيامة ، ولو رأيت أي هول فلا يهولنك ، وكلما عرض عليك شيء فزنه بميزان الشرع وكتاب الله ، فما وافق الحق فأتبعه ، وما لم يوافق فاتركه، وأنت يا فقيه أهدى من أن تُهدى، وأعلم بالشرعة والحقيقة).

وهذه العبارة أيضاً : (وأنت يافقيه أهدى من أن تهدي وأعلم بالشرية والحقيقة) نعتقد أنها من الزيادات المتأخرة لتخفيف وقع العبارة المنسوبة للفقيه ونصائح الشيخ الظفاري المزعومة للفقيه على القاري أو السامع وإلا كيف يكون من يدعي هذه الدعوى وينصح بمثل تلك النصائح أهدى من أن يهدى وأعلم بالشرية والحقيقة.

وقد تمسك بهذه العبارة بعض من فهم أو أراد أن يفهم ويفهم غيره أن ما نُسب إلى الشيخ الظفاري من رسائل مزعومة إلى الفقيه المقدم محمد بن علي هي مدائح له وتشجيع وليس زجر وتقرير وتأنيب.

أما الشيخ سفيان بن عبد الله الأبيني فتقول التلفيقات الناصبية عن علاقته بالفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ما نصه:

(وكذلك كتب - أي الفقيه المقدم محمد بن علي - إلى الشيخ سفيان بن عبد الله الأبيني ، في كتاب لطيف ، فيه كلام شريف من أسرار الحقائق، وعجائب دقائق العلوم اللدنية، وغرائب من الكشف الخارق، فأتى الجواب من الشيخ سفيان إلى الشيخ الفقيه وقال: (هذا شيء لم تبلغه أحوالنا، فنصفه لك) .

هل كان بامروان شيخاً للفقيه

محمد بن علي في الفقه ؟ :

يقول السيد علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف الذي ولد عام ٨١٨ هـ والمتوفى سنة ٨٩٥ هـ في كتابه «البرقة المشيقة» عن جده الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ما نصه:

(ولد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة ٥٧٤ هـ ، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، وكان ييدي من معانيه حال التعليم ، المعنى الجسيم ، ثم اشتغل بتحصيل العلوم والاستفادة ، وروى حديث الفضل شفاها ووجادة .

وَتَفَقَّهَ : على الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد (ت ٦١١ هـ) .

وعلى القاضي أحمد بن محمد باعيسى (ت ٦٢٦ هـ)

وأخذ الأصول والعلوم العقلية : عن الإمام العلامة علي بن أحمد بامروان

(ت ٦٢٤ هـ)

والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب (ت ٦١١ وقيل ٦٠١ هـ)

وأخذ علم التفسير والحديث : عن الحافظ المجتهد السيد علي بن محمد بن

جديد (ت بمكة ٦٢٠ هـ) .

وأخذ التصوف والحقائق : عن عمه الشيخ علوي بن محمد صاحب مرباط

(ت ٦١٣ هـ) .

وعن الإمام سالم بن بصري (ت ٦٠٤ هـ)

والشيخ محمد بن علي الخطيب (ت ٦٠٩ هـ) .

انتهى من «البرقة المشيقة» .

والشيخ علي بن أبي بكر معاصر للشيخ عبد الرحمن الخطيب صاحب «الجوهر

الشفاف» أدرك من حياة الشيخ الخطيب ٣٧ سنة ، وهو وأخوه عبد الله بن أبي بكر

أول من وجدَ لهما تأليف من بني علوي ، ولم يذكر سيدنا علي بن أبي بكر هنا أن الشيخ بامروان كان بين شيوخ جده الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي في علم الفقه وإنما كان بامروان شيخاً للفقيه في الأصول والعلوم العقلية فمن أين جاءت تلك الغضبة المروانية والهجر الصارم المتصل على الفقيه المقدم محمد بن علي على تركه تلقي علم الفقه عنده ، التي وردت عن الشيخ الخطيب إذا لم يكن الشيخ بامروان أستاذاً للفقيه محمد بن علي في علم الفقه أصلاً ؟ .

لو أن الإمام علي بن أبي بكر لم يذكر الشيخ بامروان بين شيوخ الفقيه المقدم محمد بن علي ويحدد نوعية العلوم التي كان الفقيه المقدم يتلقاها عنه لقلنا : إن اسم الشيخ بامروان ربما سقط سهواً من جانب الشيخ علي بن أبي بكر أو من جانب ناسخ كتابه ، لكن الشيخ علي بن أبي بكر ذكره وحدد نوع العلوم التي كان الفقيه المقدم يتلقاها منه ، فهل كان الشيخ الخطيب أعرف بالفقيه المقدم من حفيده العلامة علي بن أبي بكر هذا الذي كان وأخوه الإمام عبد الله بن أبي بكر أول من ألفا كتاباً من بني علوي كما يقول العلامة عبد الرحمن بن عبد الله بن بلفقيه أو أول من وصلت إلى المكتبة العربية والإسلامية كتبهم من بني علوي باتفاق كما أشرنا آنفاً.

لقد كان الشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ متخصصاً في تراجم وتاريخ وأنسب سلفه من ذرية المهاجر أحمد بن عيسى ، وهو أول من وضع شجرة تفصيلية حافلة لعمود نسب أصول جده المهاجر أحمد بن عيسى وفروعه وتراجمهم سماها بـ «الجواهر السننية في نسبة العترة الحسينية»

وإن فُقدت ضمن ما فُقد من تراث بني علوي خاصة والحضارمة بوجه عام .

وللباحث أن يسأل وهو يقرأ هذه القصص العجائزية الخرافية الملفقة المنسوبة إلى رجل حفظ كتاب ربه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في صباه وعكف على تلقي أهم وأصعب علوم عصره من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف وعلوم عقلية ونقلية لسنوات عديدة على جهاذة العلماء في بلده ، من أين جاءت القصص الملفقة المنسوبة إليه والتي أرادت أن تجعل منه :

صاحب قلب مقفل ، يبحث عن يفتح قلبه مرة .

وصاحب قلب مقيد ، يثتم عليه الشيخ عبد الرحمن المقعد مرة ثانية .

ثم صبياً مستلماً وهو بين سن الحادية عشر والثانية عشر لغريبٍ يحوله من طالب علم منضبط إلى شخص غارق في الشطحات والدعاوى والتهويمات .

ثم شخصاً مغرقاً في الشطحات المرعبة التي يصددها شيوخه المرة تلو الأخرى رامياً عرض الحائط بنصائحهم وتقريعاتهم وغضبتهم عليه ؟ .

فما هو الهدف من رسم هذه الصورة في أذهان سلالته وأهل بلده وطلاب العلم في العالمين العربي والإسلامي عنه ؟ .

شيخ المتكلمين محمد بن حسن بن فورك :

ولنتوقف هنا قليلاً عند شيخ المتكلمين ابن فورك الذي كان يعد المثل الأعلى عند الشيخ علي بن أحمد بامروان والذي يريد أن يراه متمثلاً علمياً في أحد تلامذته ، قبل البحث في أهداف من أراد رسم هذه الصورة المشوهة لهذا الفقيه العلوي :

محمد بن حسن ابن فورك المتوفى بست من بلاد فارس سنة ٤٠٦ هـ والمدفون بنيسابور من بلاد فارس ترجم له ابن خلكان والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ورغم أنه موسوعي في علومه ومعارفه إلا أن شهرته ومرجعيته كانت في علم الكلام وكان يلقب بشيخ المتكلمين في عصره.

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» عن ابن فورك :
(كان أشعرياً ، رأساً في فن الكلام ، أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري) .

وهذا يؤكد صحة ما ذهب إليه الإمام علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف في «البرقة المشيخة» أن بامروان كان مدرساً للفقهاء محمد بن علي باعلوي في الأصول والعلوم العقلية وليس الفقه.

وعلماء حضرموت بوجه عام كانوا يعزفون عن التوسع والتعمق في دراسة علم الكلام ونشره بين طلابهم لأنهم يخافون أن يؤدي التوسع والتعمق في علم الكلام - كما يقولون - إلى اهتزاز عقيدة التوحيد والتنزيه عند الناشئة والعوام.

وربما كان الشيخ بامروان من المتعمقين في بحوث ونظريات وأدلة علم الكلام بين علماء تريم من خلال ما ذكره الإمام علي بن أبي بكر بأنه كان أستاذاً في علم الأصول والعلوم العقلية.

ولا غرابة في أن يكون بامروان من المعجبين بابن فورك والراغبين في رؤية أحد تلامذتهم مثله ، من خلال مجاله العلمي الذي صار أستاذاً فيه.

وابن فورك هذا رغم ذهاب العديد من علماء عصره إلى الاعتراف بسعة علمه وموسوعيته وفضله وزهده فإن هناك من ينسب إليه شطحات في علم الوصول.

يقول الذهبي في الجزء السابع عشر من كتابه «سير أعلام النبلاء» ص ٢١٥

ما نصه :

(قلت : حُمل - أي ابن فورك - مقيداً إلى شيراز للعقائد.

ونقل أبو وليد الباجي أن السلطان محمود سأله عن رسول الله ﷺ فقال :

(كان رسول الله وأما اليوم فلا).

فأمر - أي السلطان محمود - بقتله بالسم.

وقال ابن حزم : كان يقول : (إن روح رسول الله قد بطلت ، وتلاشت ، وما

هي في الجنة) .

ولعل مثل هذه الأقوال المنسوبة إلى ابن فورك - سواء صححت أو لم تصح

نسبتها إليه - كانت بعضاً من العلوم التي كان بامروان يريد أن يلقتها تلميذه الفقيه

المقدم محمد بن علي باعلوي سواء بقبولها أو بنفي صدورها عن مثله الأعلى ابن

فورك ، فنقلها الفقيه المقدم إلى أبيه وعمه وبقيّة شيوخه فأمره بالانقطاع عن

الذهاب إلى بامروان وهجره بشكل صارم ؛ لأن مجرد الحديث بهذا التطاول عن

جدهم ومتبوعهم الأعظم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وتداوله عند

طالب علم صغير السن من بنيه - سواء صح عن ابن فورك أو لم يصح - يعد باباً

للانحراف العقدي يحتم على أعلام بنيه قطع دابر مثل هذا التطاول على جدهم

ومتبوعهم الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله بين ناشئتهم من الأساس .

عكس واقعة التهاجر من النقيض إلى النقيض :

فجاء من يعكس هذه الواقعة بشكل كامل ويجعل الهجر صادر من بامروان

للفقيه محمد بن علي وليس العكس ، وذلك ليركب على هذا الهجر المزعوم خرافة

استدعاء الفقيه المقدم محمد بن علي لشيخه بامروان من قبره بعد موته إلى منارة أحد مساجد تريم للصلح معه وأنه قد تم الصلح بالفعل بينهما كما تقول هذه القصة الملفقة.

وحال الذين يضعون القصص الملفقة المتهاففة في التاريخ والتراجم كحال اللصوص وقطاع الطرق في الحياة العامة ، حيث يتركون دائماً للباحث والمحقق خيطاً يوصله إلى إلقاء القبض حسيماً على اللصوص من جهة ، وإلى كشف دعاوى وأكاذيب واضعي القصص المكذوبة من جهة ثانية.

أين التراث العلمي لهذا الفقيه العلوي :

إن طالب علم عكف سنيماً عدة على تلقي العلوم المهمة الأساسية في عصره من حديث وتفسير وفقه وأصول وعلوم عقلية ونقلية على يد جهابذة العلماء في بلده لا بد أن يترك أثراً ولو محدوداً جداً من حصيلته العلمية تلك.

ولو أن الذين كتبوا عنه قالوا : إنهم لم يجدوا له أثراً البتة من آثار تلك العلوم التي عكف عليها وتلقاها لقلنا ربما كان مصير آثاره العلمية كمصير الأجزاء المهمة من تاريخ بلده حضر موت في تلك القرون التي لا زال المؤرخون والباحثون مختلفين حول سبب فقدها أو إتلافها.

لكننا نجد في مقابل انعدام أي أثر علمي له كمّاً كبيراً من الشطحات التي تنسب إليه.

يقول السيد محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي في كتابه «غرر البهاء الضوي» ما نصه:

(فكراماته بحر واسع لا ساحل له ، فألفوا منها النزر القليل ، فبلغنا أنهم كتبوا منهن والتقطوا مائتي كرامة)^(١) .

ويقول السيد خرد في «الغرر» أيضاً :

(وروى الثقات الصالحون أن الفقيه محمد المذكور كان يقول : أنا فيكم كمحمد في قومه ، وفي رواية كعيسى ابن مريم في قومه)^(٢) .

ويقول السيد خرد أيضاً :

(قال المشايخ العارفون : ما صلينا صلاة جنازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصلي معنا عليها)^(٣) .

فلماذا تم حفظ هذا الكم من الشطحات والدعاوى الموضوعية التي تنسب إلى هذا الإمام المظلوم وحرص القوم على العناية بها وبتناقلها بشكل مثير للاستغراب والريبة ، وفي الوقت نفسه انعدام أي أثر علمي له .
ألم يعثر صناع تلك الشطحات على بعض الفتاوى أو الرسائل العلمية لهذا الفقيه المحدث الأصولي المفسر بين تلك الشطحات التي تنسب إليه ؟ أم أن مصير تلك الآثار العلمية كان الإعدام والإبادة لتحل محلها تلك الشطحات والدعاوى تحقيقاً لهدف من جردوا أقلامهم لصنعها وتلفيقها وبثها على أوسع نطاق.

نبحث عن الحقيقة ولا نتهم أحداً :

(١) الغرر (ص ٣٦٦) .

(٢) الغرر (ص ٣٦٧) .

(٣) الغرر (ص ٣٦٧) .

هذه الحكايات وغيرها الكثير تنقلت في أكثر من مؤلف من مؤلفات بني علوي وغيرهم من الحضارمة ونحن هنا لا نوجه اتهاماً أو نقصد تجريحاً في الشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب صاحب «الجوهر الشفاف» أو غيره ممن نقلوا هذه الحكايات بالقول: إنهم هم من قام بوضعها ونشرها، فالأغلب في رأينا أن صانعي تلك الحكايات وأمثالها كانوا يبثونها شفويّاً بين الناس في المجالس الخاصة والعامة مع إظهار البراءة والنسك والتواضع ودعوى المحبة لأهل البيت النبوي، مع إيهام السامعين بأن تلك الدعاوى والشطحات هي فضائل ومزايا للمروري عنهم، وليست رزايا في حقهم مع الحرص في الوقت نفسه على عدم تسليط الضوء على أنفسهم أو على أهدافهم المبطنة.

لكن الناقلين لكل ما يسمعون دون ترويض وتحقيق ودون تثبيت من المصدر الأول لما يروون عن أشخاص انتقلوا إلى الدار الآخرة قبل ولادتهم بمئات السنين لا يعفيهم التاريخ من المشاركة في تشويبه ومن ظلم من ينشروا عنهم مثل هذه الشطحات المرعبة دون تحقيق وتأكد، ولن يعذرهم أولئك السلف الماضيين عن ظلمهم وتشويه سيرهم دون وجه حق يوم يقف الكل بين يدي الحَكَمِ العَدْلِ جل شأنه.

فكل شيء يزيد عن حده ينقلب إلى ضده، حتى حسن الظن الذي قد يتحول إذا زاد عن حده إلى سداجة مضرّة بالتاريخ وبالأحياء والأموات حسياً ومعنوياً.

أين تراجع أقران الفقيه المقدم

في لبس خرقة المغربي؟

تقول حكايات قدوم الشيخ عبد الله الصالح المغربي : إنه كان يحمل عدة خرق صوفية لأكثر من شخص من الحضارمة وهم كما سمتهم بعض تلك الحكايات :

الشيخ سعيد بن عيسى العمودي .

الشيخ باعمرو صاحب عوره (بضم العين ، قرية من قرى وادي دوعن) .

الشيخ باحمران صاحب ميفعة .

وكان الفقيه محمد بن علي باعلوي رابعهم .

وربما ذكرت بعض المصادر غيرهم أيضاً .

لكن صناع الحكايات الملفقة لم يذكروا كيف تم إلباس بقية الثلاثة خرقة الشيخ أبي مدين وماذا كان حالهم بعد لبس تلك الخرق بل لا يوجد في كتب التراجم الحضرمية شيئاً يذكر عنهم عدا الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ومعظم ما كُتب عنه كان خارج نطاق هذه الخرقة وآثارها .

فلماذا كان التركيز كله على هذا السيد العلوي وترحيل كل تلك الشطحات المصنوعة إليه؟ .

لماذا لم يتكروا صناع الحكايات الملفقة والشطحات ببعض منها على بقية الثلاثة؟ .

ولماذا كان هذا السيد العلوي هو المصدر الأول والأخير لتلك الشطحات في حضر موت؟ .

أسئلة ربما لا تحتاج إلى عناء في الإجابة عليها لأن إجابتها من خلال آثار ذلك السيد العلوي الثابتة والملموسة حاضرة وواضحة كل الوضوح .

لماذا كل هذا التشويه للفقير العلوي؟

في اعتقادنا أن ما بذله الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي من جهد واعى ملموس ومحمود في المحافظة على الفرع الباقي من أبناء جلدته سلالة المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الممثل في بني علوي بن عبيد اللاه بن أحمد بن عيسى وتجنبيهم الانقراض الناتج عن التنكيل والتشريد والقتل على يد الغزاة الأكراد وأعوانهم من النواصب في القرنين السادس والسابع الهجريين التي تعرض لها فرعان بارزان من فروع تلك الأسرة وهم ذرية بصري بن عبيد اللاه بن أحمد بن عيسى وجديد بن عبيد اللاه بن أحمد بن عيسى هو من أبرز الأسباب التي حدثت بالراغبين في استئصال شافة هذه الأسرة عن بكرة أبيها ومحو بصماتها من التاريخ الحضرمي والإسلامي وآثارها العميقة في العمل العام إلى رسم تلك الصورة للفقير محمد بن علي باعلوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه، خصوصاً وأن فرعي أبناء عمومته آل بصري وآل جديد المنقرضين كانا المتصدرين للمرجعية العلمية والإصلاحية والاجتماعية قبل بني علوي وكانت آمال من سحبت تلك السلالة بساط المرجعية من تحت أقدامهم بفضل غزارة العلم وشرف المحتد ورجاحة العقول أن يكون الانقراض لفروع هذه الأسرة تاماً وقاطعاً فحال هذا الفقير العلوي دونهم وتلك الغاية.

فالمحصلة من هذا التعامل الناصبي الحاقد مع فروع هذه الأسرة الحسينية

الهاشمية كان يهدف إلى :

فرعين تمت أزاحتهم بالقتل والتشريد والتنكيل حتى الانقراض .

و فرع لم يتسنَّ انقراضه ، وكان شيخه ومرجعه الفقيه المقدم محمد بن علي حائلا دون ذلك فلا بد من تشويبه بالشطحات والخزعبلات وتجريده من العلوم والمعارف السائدة في عصره .

لقد استطاع الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي بحنكته ورجاحة عقله وسداد رأيه أن يجنب ذلك الفرع الإبادة والانقراض بالوسائل التالية:

أ - التمسك بنهج أجداده الكرام علي زين العابدين والباقر والصادق والمهاجر أحمد بن عيسى في الابتعاد عن السلطة الحاكمة والعزوف عن السعي إلى تأسيس الدول والصراع مع الحكام والاتجاه نحو العلم والتعليم وإصلاح ذات البين والدعوة إلى الله على بصيرة .

ب - الزهد في طلب الجاه والوجاهة والسلطة والحطام والترفع عن منافسة أهل الحكم على كراسيهم والتجار على تجارتهم وأصحاب المراكز التقليدية على مراكزهم ، وتجنيد النفس والنفيس والأهل لتلقي العلم والمعرفة ونشرهما داخل حضر موت وخارجها ولنفع البلاد والعباد ، وترسيخ الأمن والأمان في بلادهم ، وإصلاح ذات البين ، والمحافظة على السلام الاجتماعي والوحدة الوطنية ، وإكرام الضيوف طلباً لمرضات ربهم جل شأنه .

ج - بدلاً من التنافس على الجاه والحطام والسلطة عمل الفقيه المقدم محمد بن علي على تهيئة أعلام بنيته لحمل رسالة جدهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله جيلاً بعد جيلٍ في شتى بقاع الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة والسلوك القويم ، ودون أن يريقوا قطرة دم واحدة في البلاد التي حملوا راية الدعوة فيها .

يقول العلامة السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي في بحث طويل ومفصّل ومدعم بالشواهد والأدلة عن هجرات بني علوي في سبيل نشر الإسلام منذ أيام الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي في القرن السابع الهجري وحتى القرن العاشر الهجري نشرته مجلة «حضر موت» التي كانت تصدر في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري في سنغافورا ونقلته عنها مجلة «الفتح» التي كان يصدرها في بيروت في نفس ذلك الوقت العلامة الأمير شكيب أرسلان ما نصه :

(وهما - أعني الفقيه وعمه - مرجعا جميع أفخاذ السادة العلويين وقد بلغ عددها مائة وتسعة وتسعين فخذاً فكان البادية منهم الذين يعانون حمل السلاح يبلغون ثمانية عشر فخذاً أو يزيدون ، والباقون متحضرون ، ويجتمع نسب الكل على سيدنا محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله بن المهاجر الى الله أحمد بن عيسى بن محمد النقيب بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي الوصي المرتضى أخي رسول الله وابن عمه صلوات الله عليهم أجمعين .

ولا بأس أن يقف قلبي برهة قبل إنجاز الكلام على سلاطين جزائر القمر لعتاب إخواننا العلويين، إذ يقول القائل:

لماذا لم تنشر مناقب أولئك الأبطال الذين فتحوا تلك الجزائر البعيدة، ونشروا فيها الاسلام، وشادوا فيها المساجد، وبنوا المعامل، وبسطوا لأهلها بسط العدل؟.

فنقول له: لماذا لم تنشر آثار بقية أفخاذهم التي انتشرت في الشرق؟ .

فإن فخائذ السادة العلويين كما سبق قد بلغت في وقت ما مائة وتسعة وتسعين
فخذاً، وقد أحصى عددهم منذ نحو خمسمائة سنة فكان عشرة آلاف نفس، وقد
أضاع أخلافهم آثار أسلافهم.

فإن أنكرت قولي هذا أيها القارئ واستكبرته وعددته شيئاً وعبياً، فأرني أي
شيء نشر من أخبار وآثار من نزل منهم الديار الهندية في سالف الدهر؟
كالذين نزلوا أحمد آباد، وسورت، وبروج، وحيدر آباد الدكن، وبيجافور،
وكنور، وقزرات، ودلي، وبرودة، ومان كيسر، وكالكوت، وبلقام، وبنقرا باد،
وملييار، وبنقاله .

ألم تعلم ان أول داخل منهم الى البلاد الهندية دخلها سنة ٦١٧ هـ؟.

(أي في حياة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي) .

فلماذا لم تنشر أخبارهم مع ملوك الهند العظام ووزرائها الكبار؟ وما كان لهم
من الجاه والمنزلة عندهم؟ وما لهم من الآثار والنفع العام؟ ومن أصهر إليهم من
السلطين؟ .

كالسلطان شاه جهان ، والسلطان ابراهيم عادل شاه ، وابنه السلطان محمود
بن السلطان ابراهيم عادل شاه ، والسلطان حبش خان ، والسلطان فتح خان ،
والسلطان برهان نظام شاه.

وكيف حملوا السلطان إبراهيم عادل شاه على أن يلبس لباس العرب ، ومن
اتصلوا به من الوزراء: كالوزير عنبر قبل أن يصير ملكاً وبعد تملكه ، ووزير أحمد
أباد الأعظم عماد الملك وغيرهما؟ .

فهل تحسب أن السيد إبراهيم المقبور بقرسيء والذي أسلم على يديه أهل جاوى كان من غير العلويين؟ كلا.

ألم تعلم أن بطناً عظيماً منهم - أي من بني علوي - قد انتشر في البلاد الهندية منذ سبعة قرون؟ فلم تحتوِ الشجرات المتعدده على تفصيل أفخاذهم وتسلسل ذريتهم لقدم رحلتهم عن البلاد الحضرميه ، وانقطاع أخبارهم ، وهم بنو عبد الملك بن علوي ابن عم الفقيه المتوفى سنة ٦١٣ هـ، (أي في حياة الفقيه المقدم محمد بن علي أيضاً) وغاية ما حفظته لنا الشجرات عن ذرية عبد الملك هذا قولها : إن لهم عقباً منتشراً بالهند يعرفون بأل عظمت خان معروفين بالشجاعة، ميالين إلى التجنيد والعسكريه. فلم لا يكون السيد إبراهيم منهم؟.

إن أسلافنا قد تفننوا في ضبط أنسابهم حتى جعلوا للألقاب شجرة خاصة، وللأمهات شجرة خاصة، وهكذا.

ولكنهم ما كانوا يميلون إلى التنويه بما لهم من الأعمال في البلاد التي يرحلون إليها وينشرون الدعوة الإسلامية بها، ميلاً منهم إلى التواضع وكسر النفس وعدم الرضا عنها، ولكننا قد احتجنا اليوم إلى ذكرها ونشرها لما يعلم المنصف الخبير، ولوترك القطا ليلاً لنا ما .

وما ظنك بهذه الجنود المجندة المتفرقين في جزائر الشرق؟ .

في سلييس، وبرنيو، وسومترا، وجاوه، وماقا (ملاكة)، وآشى، وقد دخل بعضهم منذ أربعة قرون، ومنهم من لم يكتب اسمه ولا اسم أبيه ولا جده في الشجرات إلى اليوم) .

ولا يزال أهل آشى يطلقون على كل عربي لفظة (حبيب) وهذه الكلمة هي اللقب الذي يُدعى بها كل سيد علوي، ولم نرَ فيما قرأناه مما كتبه الأفرنج إنصافاً إلا

في مقاله نشرتها مجلة «فانجى فستاكا» التي تصدر من ويلتفريدن في عددها الخامس عشر الصادر في ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٦ فإنها ذكرت تعاهد الحبيب حسين القدري جد سلاطين فتيانق (فتيانه) هو وثلاثة من إخوانه من العلويين وهم السيد أبوبكر العيدروس والسيد عثمان باحسين السقاف والسيد أحمد الكويرس ، واتفق هؤلاء الأربعة بعد الحصول على الأذن لهم من شيخهم بملييار على التوجه الى الشرق للدعوة إلى دين الاسلام). انتهى من بحث العلامة محمد بن شهاب.

د - نجاح الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي بهذا النهج القويم في جعل قومه بني علوي رقماً مهماً في التاريخ العربي والإسلامي في كل المجالات الاجتماعية والدعوية داخل بلادهم وخارجها ، حيث لا يستطيع مؤرخ من المؤرخين - حتى من النواصب أعداء أهل بيت النبوة - تخطيه أو تجاهله.

كل هذا السعي المبارك المحمود كان في نظر النواصب جرائم لا تغتفر ونتائج خطيرة وسلبية على مواقعهم ودعاويهم ، تستدعى ذلك الجهد المضني في تقويل الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ما لم يقل ، ووضعه بين صفوف الغارقين في الشطحات والدعاوى الترهات.

المؤرخون والكتاب من بني علوي ونقلهم للدعاوى والشطحات المنسوبة إلى الفقيه المقدم محمد بن علي :

لقائل أن يقول :

إن الدعاوى والشطحات المنسوبة إلى الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي لم يقتصر نقلها وتسجيلها على كتاب الشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب وغيره من المؤرخين ، وإنما تكتظ بها أيضا كتب بني علوي المشهورة مثل :

«البرقة المشيقة» للشيخ علي بن ابي بكر بن عبد الرحمن السقاف .

و«العقد النبوي» لشيخ بن عبد الله العيدروس .

و«الغرر» لمحمد بن علي خرد .

و«المشرع الروي» لمحمد بن أبي بكر الشلي وغيرها الكثير ، ومن ثمّ فلا حجة في تحميل نقل هذه الدعاوى والشطحات لشخص معين أو مجموعة معينة من المؤرخين

والتعقيب على مثل هذه الحجة يتلخص في الآتي :

أولاً : إننا حين قلنا في مقدمة هذا البحث ما نصه :

(إننا من خلال الوقوف أمام معظم التراجم التي اطلعنا عليها لعلماء حضر موت وأعلامها التي جُمعت ونُشرت منذ القرن التاسع الهجري وحتى نهاية القرن الثالث عشر ، بعد استثناء ما كتبه الإمام عبد الله بن علوي الحداد المتوفى سنة ١١٣٢ هـ ، يتضح بجلاء أن مكانة الفرد منهم علماً وعملاً تعتمد في تلك التراجم على عدد وضخامة وغرابة الكرامات والشطحات التي تنسب إليه ، وهي ظاهرة سادت العالم الإسلامي في عصور الانحطاط والترهل والجمود منذ القرن التاسع الهجري ، ولم تكن حضر موت بدعاً بين البلاد الإسلامية.

لقد صار في تلك الأزمنة وما بعدها تكرار النقل عن كتب السابقين وجمع الشطحات دون تحقيق أو تمحيص وحتى ربما اختلاقتها ووضعها أمراً عاماً في كتب التراجم وكتب التصوف التي لم يسلم منها إلا القليل).
لم نستثن من ألفوا في التراجم من بني علوي من هذه الظاهرة التي سادت العالم الإسلامي في القرن التاسع الهجري وما بعده إلا العلامة السيد عبد الله بن علوي الحداد المتوفى عام ١١٣٢ هـ الذي تخلو مؤلفاته من مثل هذه الدعاوى والشطحات .

ثانياً : القصص والروايات الصحيح منها والسقيم يكون الحديث
عن صحتها أو سقمها من خلال روايتها الأوائل ومصادر الأوائل وسندها المتصل إلى أولئك الرواة وتلك المصادر المعروفة ، وانتقال الروايات في مئات أو آلاف الكتب عبر القرون بعد ذلك لا يضمني عليها الصحة والقبول دون معرفة روايتها الأوائل ومصادر الأوائل وأسانيد الناقلين لها .

والفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ولد في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، وتوفي في القرن السابع بينما كان أول مؤلف ظهر لشخص من بني علوي في القرن التاسع الهجري ، أي بعد ما يزيد عن مائتي سنة من وفاة جدهم الفقيه المقدم، ولم نجد عند بني علوي أو غيرهم من الناقلين لتلك القصص والروايات فيما اطلعنا عليه من كتبهم

أي إشارة إلى روايتها الأوائل ومصادرها الأولى والأسانيد المتصلة إلى أولئك الرواة وتلك المصادر

ولأنه لم يكن هناك أي تأليف لبني علوي سواء كان مفقوداً أو لا يزال موجوداً قبل القرن التاسع الهجري ، فيمكن الجزم بأن انتشار تلك القصص والروايات والدعاوى والشطحات ونقلها لم يكن عن أسلافهم من بني علوي في القرنين السادس والسابع الهجريين ؛ لأنهم لم يذكروا هم ولم يذكر غيرهم لأسلافهم قبل القرن التاسع الهجري أي مصادر مؤلفة في التاريخ العام أو في تراجم الأعلام.

ويبقى هنا السؤال الذي لا يوجد عند أحد جواباً عليه هو عن المصدر الموثوق والموثق الأول لتلك الروايات والقصص عن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ، بعد استبعاد بني علوي عن أن يكونوا المصدر الأول لها.

ثالثاً : إن النقل العشوائي المؤسس على حسن الظن والتقدير لكل ما وجد في كتب التراث دون تحقيق ودون ثبت من صحة القصص والروايات والأخبار التي يحويها ذلك التراث كان ظاهرة سلبية لم يسلم منها أحد في تلك القرون إلا النزر اليسير جداً من الكُتّاب والمفكرين الذين وقفوا أمام تلك الروايات بتحفظ وشك في صحتها مما جعلهم عرضة للاتهامات بمختلف التهم وظلَّ التجريح يلاحقهم في حياتهم

وبعد وفاتهم لقرون عدة ، وكما قلنا فإن مجرد الاقتراب من تلك الكتب بالشك في بعض ما ورد فيها أو بالنقد لبعض ما تحويه بتجرد وموضوعية ورغبة مخلصية في الوصول إلى الحقيقة تجعل من يحاول ذلك أو يقوم به غرضاً لسهام التجريح والاتهام والتشويه والافتراءات من المترهلين والجامدين حتى في عصرنا هذا عصر الحاسوب والتكنولوجيا والتوثيق ومراكز الأبحاث المتخصصة ناهيك بما كان سيتعرض له من فكر في ذلك في أزمنة وعهود الانحطاط والترهل والجمود.

عبد الرحمن المقعد وعبد الله الصالح المغربي وبعض المشايخ في السلسلة الشُّعبيية :

فيما اطلعنا عليه وبحثنا فيه من كتب القوم ، لم نجد أن الشيخ عبد الرحمن بن محمد المقعد رسول الشيخ شعيب بن حسين المغربي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي كلف زميله الشيخ عبد الله الصالح المغربي بمهمة أخذ خرقة الشيخ شعيب إلى حضر موت عند حضور أجله في مكة المكرمة، شخصية معروفة لها ترجمة وافية أو حتى مختصرة في كتب بني علوي أو غيرهم من مؤرخي الحضارمة .

أما الشيخ عبد الله الصالح المغربي رسول الشيخ عبد الرحمن المقعد فهو أيضاً لم يكن شخصية معروفة ولها ترجمة وافية عند بني علوي أو غيرهم من مؤرخي الحضارمة.

ويوجد خلاف بين مؤرخي وصوفية حضر موت في محل وفاته وقبره.

وفيا اطلعنا عليه من كتب المغاربة التي ترجمت بتفصيل للشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين التلمساني المغربي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ ولشيوخه وتلامذته وشرحت أسس طريقته وأماكن وجود أتباع له داخل المغرب وخارجه لم نجد ذكراً للشيخين عبد الرحمن المقعد وعبدالله الصالح وطريقته .

ومن أبرز هذه المراجع كتاب «أنس الفقير وعز الحقير» لابن القنفدي المغربي، وهو من أعلام الطريقة الشعبية في عصره ، وأغلب الكتب المغاربية تنقل عنه وتحيل إليه في ما يتعلق بالشيخ شعيب وطريقته .

وإذا كنا لا ندعي استقصاء تلك المصادر فإننا نلتمس ممن توجد لديه ترجمة وافيه لهذين الشيخين أن ينشرها إتماماً للفائدة .

لكن طلب الإجازة أو طلب الإلباس تبركاً للفقير محمد بن علي باعلوي من الشيخ عبد الله الصالح المغربي -إذا صحت زيارته لحضرموت - كما أشرنا آنفاً سواء كان الطلب منه مباشرة أو من أبيه أو عمه له ليس ممتنعاً أو منكوراً لأن طلبه العلم غالباً في حضرموت وغيرها من البلاد العربية والإسلامية في تلك العصور كانوا يطلبون الإجازة والإلباس تبركاً من كل من يتوسمون فيه العلم والصلاح من القادمين أو المقيمين وقلما كانوا يسألون من يطلبون منه ذلك عن سلسلة مشايخه أو عن طريقته فيكفي أن يعتقدوا فيه العلم والصلاح ليتمسوا منه الإجازة والإلباس .

ولذا نجد في إجازات التبرك المكتوبة يكتفي المجيز في الغالب بالقول :
(أجزت فلاناً كما أجازني مشايخي) فقط دون ذكر مشايخه بالأسماء واحداً تلو الآخر

وبناء على ذلك نعتقد أن البحث في سلسلة مشايخ الشيخ عبد الله الصالح المغربي وذكر أسماؤهم قد حدث في وقت متأخر عن عصر الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي بعدة قرون ، وذلك بهدف إثبات وتأكيد الهوية الصوفية للفقيه محمد بن علي باعلوي حيث إن وجود عدد من مشاهير وأعلام الصوفية في هذه السلسلة مثل الشبلي والسري السقطي والجنيد البغدادي وأبي حامد الغزالي وغيرهم ربما كان من ضمن دواعي من جعلوا طريقة الشيخ أبي مدين المغربي هي الطريقة الأصل لطريقة السادة بني علوي بالنظر إلى أن أعلام الطريقة الأولى - طريقة الآباء والجدود - لا تحقق لهؤلاء هدفهم المشار إليه ؛ لأنه وإن كان الإمام علي الْعَلِيُّ هو مرجع غالبية السلاسل الصوفية فإن الأئمة من أعلام بنيه كزين العابدين والباقر والصادق والعريضي والمهاجر وعلي خالغ قسم ومن قبله من آبائه لم يشتهروا بأنهم من أعلام التصوف ، وقلما ترد أسماؤهم أو تراجمهم في مراجع المتصوفة ومؤلفاتهم المشهورة.

من أين نشأ الاختلاف في روايات

لبس الفقيه المقدم من المغربي؟ :

لقد نشأ الاختلاف الصارخ في روايات كيفية لبس الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي من الشيخ عبد الله الصالح المغربي عند مؤرخي القرن التاسع الهجري وما بعده من الفجوة الزمنية أولاً ومن غياب المصدر الأول الموثوق والمكتوب لهذه القصة ، فبينما نجد الشيخ الخطيب يروي هذا التحكيم ولبس الخرقة بروايتين في حكاية واحدة ، نجد السيد محمد بن علي خرد باعلوي المتوفى سنة ٩٦٠ هـ يقول في كتابه «غرر البهاء الضوي» :

(والأخرى - أي الطريقة الأخرى - أنه - أي الفقيه المقدم محمد بن علي - لبس الخرقة في بدايته، ومبدأ مكاشفته، أعني الخرقة المَدْيِيَّة، المغربية، الشُّعْبِيَّة، بإذن رباني، وأمر غيبي، مع بشارات جليلة، وإشارات عظيمة، تقصر عنها العقول، ويكل في الجري في ميدان مجال فرسانها الفحول، وإفشاء ذلك لمن ليس من أهله عناء وفضول، فلما حصل له الأدب الرباني، والأمر الغيبي، يقظةً وكشفاً عياناً لا مناماً).

أي أن لبس الفقيه المقدم محمد بن علي خرقة الشيخ شعيب عند السيد خرد كان أمراً غيبياً بطريقة الكشف، - أي بلا واسطة في المرة الأولى - وإن هذا الأمر الغيبي تقصر عن فهمه العقول، وأنه لا يجوز إفشاؤه لمن هو ليس من أهله .

وإذا تم لبس الفقيه المقدم محمد بن علي من الشيخ شعيب بلا واسط فما الذي جعله يسأل الواسطة الشيخ عبد الله الصالح عن ثقب الجوهرة المكنى به عن لبس الخرقة وهو قد لبس وعرف من اصطلاح الصوفية ما أعرف ، وإذا كان هذا اللبس لا يجوز إفشاؤه لمن هو ليس من أهله فكيف جرى إفشاؤه لمن هو أهلاً ولمن ليس بأهل.

أين شيوخ الطريقة الشَّعْبِيَّة

في أدبيات وأذكار الطريقة العلوية؟

إن شيوخ التحكيم والإرادة لأي طريقه يكون حضورهم دائم في مجالس ومجامع ومعاهد أتباعهم من خلال تراجمهم وسيرهم وأخبارهم وأورادهم والاستشهادات بكلامهم المشور والمنظوم، بوصفهم الأئمة المتبوعين وصلة الوصل بين أتباع الطريق والمتبوع الأعظم رسول الله ﷺ ، ولم تشذ طريقة السادة بني علوي عن هذا القاعدة مع شيوخها من أئمة سلسلة الآباء والجدود، بل يمكن

القول أنها من أقوى الطرق وأبرزها في هذا الجانب، لكن في المقابل لا يجد من يتردد على مجالس ومجامع أئمة الطريقة العلوية أو من ينتمي إلى معاهدهم أي اهتمام يذكر أو حديث يدار أو ورد يقرأ لشيخ السلسلة الشُّعبية أبي مدين أو شيخه ابن حرازم، أو لغيرهم من مشايخ هذه السلسلة .

وإشادة بني علوي بأبي حامد الغزالي وتعلقهم به جاء انطلاقاً من إعجابهم واهتمامهم بكتابه «أحياء علوم الدين» في مسألة تحليل وتشخيص أمراض النفس الإنسانية وكيفيات علاجها وليس من كونه أحد مشايخ سلسلة الشيخ أبي مدين شعيب بن حسين.

كما أننا لم نجد فيما اطلعنا عليه من رحلات أعلام بني علوي أن أحداً منهم قصد إلى زيارة ضريح الشيخ أبي مدين شعيب بن حسين أو زار زوايته والتقى بأحد من أتباعه، بل قل من يعرف ممن له علاقة بطريقة السادة بني علوي أين يوجد ضريح الشيخ أبي مدين بالتحديد؟ إلا القول بأنه في المغرب.

وفي المقابل لم يسجل تاريخ حضر موت الصوفي أي زيارة لشيخ ومريد من مشائخ أو مريدي طريقة الشيخ شعيب بن حسين إلى حضر موت بعد قدوم الشيخ عبد الله الصالح المغربي في بداية القرن السابع الهجري إلى حضر موت.

وإذا كان العلماء والباحثون في أي طريقة مرت على تأسيسها قرون من الزمن، غالباً ما يكون لهم إنتاج مكتوب وغزير خصوصاً في علم التزكية والسلوك، فإننا لم نجد في مكاتبات أو مكاتبات أعلام الطريقة العلوية مراجع أو كتب أو بحوث ذات قيمة علمية وافية حول الطريقة الشُّعبية لشيخ من شيوخ الطريقة الشُّعبية أو لمريد من مريديها.

سلسلة الشيخ شعيب بن حسين أبي مدين :

لقد أشرنا آنفاً عن اعتقادنا بأن الاهتمام بنقل سلسلة مشايخ الشيخ أبي مدين المغربي نشأ في وقت متأخر عن عصر الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي بعدة قرون وأوضحنا ما نعتقده في سبب الاهتمام بذكر مشايخ هذه السلسلة عند صوفية القرن الثامن الهجري وما بعده رغم أنه قلما يهتم الصوفية بذكر سلسلة مشايخ إجازات التبرك .

يقول العلامة محمد بن علي خرد المتوفى عام ٩٦٠ من الهجرة في كتابه «غرر البهاء الضوي» :

(وللشيخ الفقيه محمد بن علي طرق أخرى في نسبة الخرقة، خرقة أهل الطريقة:

إحداها : كما تقدم .

والأخرى : أنه لبس الخرقة في بدايته، ومبدأ مكاشفته، أعني الخرقة المدينية، المغربية، الشعبية، بإذن رباني، وأمر غيبي، مع بشارات جليلة، وإشارات عظيمة، تقصر عنها العقول، ويكل في الجري في ميدان مجال فرسانها الفحول، وإفشاء ذلك لمن ليس من أهله عناء وفضول، فلما حصل له الأدب الرباني، والأمر الغيبي، يقظة وكشفاً عياناً لا مناماً، لبس الخرقة الشريفة من يد الشيخ الإمام القطب شعيب بن أسعد الأنصاري الغافري، أبي مدين، بواسطة الشيخ عبد الرحمن المقعد، وبواسطة الشيخ عبد الله الصالح المغربي، وبغير واسطة.

والشيخ أبو مدين أخذ الطريقة عن الشيخ الكبير أبي يعزأ، عن الشيخ أبي الحسن بن حرزهم .

وأخذ الشيخ أبو الحسن المذكور عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي بكر - ابن العربي المعافري صاحب كتاب «العواصم من القواصم» - وعبد الله بن أبي بكر عن الإمام أبي حامد الغزالي .

والغزالي عن إمام الحرمين، والشيخ أبي محمد الفارمدي .

وإمام الحرمين عن والده أبي المعالي الجويني .

وأبو المعالي عن الشيخ أبي طالب المكي .

والشيخ أبو طالب المكي عن أبي القاسم الجنيد .

وأبو القاسم الجنيد لبس من يد خاله السري السقطي .

ولبس الشيخ السري من يد الشيخ معروف الكرخي .

ولبس معروف من يد الشيخ داود الطائي .

ولبس الشيخ داود من الشيخ حبيب العجمي .

ولبس الشيخ حبيب من يد الشيخ حسن البصري .

ولبس الشيخ حسن البصري من يد الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وعلي بن أبي طالب أخذها من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها عن جبريل، وجبريل أخذ عن الله تعالى .

وللشيخ معروف الكرخي طريقة أخرى من جهة أهل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فإنه

تأدب بأداب علي الرضا بن موسى الكاظم .

وموسى الكاظم تأدب بأداب أبيه جعفر الصادق .

- وجعفر الصادق تأدب بأداب أبيه محمد الباقر .
 ومحمد الباقر تأدب بأداب أبيه علي زين العابدين .
 وزين العابدين تأدب بأداب أبيه الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب .
 والحسين تأدب بأداب أبيه علي بن أبي طالب .
 وعلي بن أبي طالب تأدب بأداب النبي صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم .
 والنبي صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم يقول : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) .

ابن العربي المعافري الناصبي أحد أعلام السلسلة الشُّعبيَّة :

احترام وتقدير وموافقة مشايخ السلسلة الصوفية من بدايتها إلى نهايتها من جانب المنتسب إليها وعدم مخالفة أي منهم فيما يذهب إليه من آراء أو معتقدات ، والاحتفال بسيرهم وأخبارهم ومدارستها تعد من أساسيات الانتساب إلى هذه السلسلة أو تلك من سلاسل الأخذ والتحكيم والصحة الصوفية .
 ومخالفة أي شيخ من مشايخ السلسلة التي ينتسب إليها المريد أو سوء الظن به أو الطعن في عقيدته أو نقده يخرج من يفعل ذلك من الانتساب إلى السلسلة – عند الصوفية – بشكل كامل بل ويتسبب له في الطرد والحرمان كما يقولون .
 هذه ثابتة من الثوابت الصوفية المتفق عليها بين أعلام ومؤرخي التصوف السُّني والباحثين في أصوله وفروعه وأساسياته .

ومن هذا المنطلق حين نحاول تطبيق أحد أهم الثوابت الصوفية السُّنية على علاقة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وأعلام بنيهِ بالطريقة الشُّعبيَّة المغربية يبرز لنا على الفور أحد أهم شيوخها ، وهو الشيخ أبو بكر محمد بن عبد الله

المعافري الأشبيلي الأندلسي الملقب بابن العربي المولود بأشبيلية عام ٤٦٨ هـ والمتوفى بفاس عام ٥٤٣ هـ .

فمن هو ابن العربي المعافري؟

محمد بن عبدالله بن محمد المعافري المشهور بالقاضي أبو بكر ابن العربي الإشبيلي المالكي (صاحب كتاب «العواصم من القواصم») وهو غير محي الدين بن عربي الصوفي. ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ، قرأ القراءات وسمع بها من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خزرج، ثم انتقل ورحل مع أبيه سنة ٤٨٥ هـ ، ودخل الشام فسمع من الفقيه نصر المقدسي وأبي الفضل بن الفرات ، وبيغداد من أبي طلحة النعالي وطراد ، وبمصر من الخلعي ، وتفقه على الغزالي و أبي بكر الشاشي والطرطوشي. ولي قضاء إشبيلية، ومات في فاس في ربيع الآخر سنة ٥٤٣ هـ، ودفن بها.

موقف ابن العربي من الإمام الحسين بن علي :

يقول ابن العربي في كتابه «العواصم من القواصم» ص ٢١٤ :

(إن الحسين لم يقتل إلا بسيف جده) .

أي أن الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في عقيدة الشيخ ابن العربي هذا الذي هو أحد أركان السلسلة الصوفية الشَّعبية - كان باغياً خارجاً على ولي الأمر يزيد بن معاوية ، ومن ثَمَّ فَإِنَّ قَتْلَهُ مِنْ جَانِبِ يَزِيدَ كَانَ مَشْرُوعاً بِسَيْفِ الشَّرِيعَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ ، وَلَيْسَ شَهِيداً ، وَذَلِكَ يَدُلُّ بوضوح على أن الشيخ ابن العربي يرفض جملةً وتفصيلاً كل الأحاديث النبوية الصحيحة التي وردت عن النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حول إخبار الحق سبحانه

وتعالى له بواسطة جبريل الأمين عن استشهاده الإمام الحسين الْعَلِيِّ في كربلاء وأنه وأخيه الإمام الحسن الْعَلِيِّ سيدا شباب أهل الجنة.

قال الحافظ المناوي في «فيض القدير» (١ / ٢٦٥ ح ٢٨١): وقد غلب على ابن العربي الغض من أهل البيت حتى قال: قَتَلُهُ - أي قتل يزيد بن معاوية للحسين بن علي - بِسَيْفِ جَدِّهِ .

قال ابن حجر الهيتمي المكي في كلام له عن يزيد: في كتابه «المنح المكية شرح القصيدة الهمزية» (ص ٢٧١): قال أحمد بن حنبل بكفره، - أي بكفر يزيد - وناهيك به ورعاً وعلماً يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده، وإن لم تثبت عند غيره) .

واستطرد ابن حجر الهيتمي قائلاً: (وكان ابن العربي المالكي، فإنه نُقِلَ عنه ما يقشعر منه الجلد، إنه قال: لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جدّه . أي: بحسب اعتقاده الباطل أنه الخليفة، والحسين باغ عليه، والبيعة سبقت ليزيد، ويكفي فيها بعض أهل الحلّ والعقد، وبيعته كذلك، لأنّ كثيرين أقدموا عليها مختارين لها.

هذا، مع عدم النظر إلى استخلاف أبيه له، أمّا مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة أحد من أهل الحلّ والعقد على ذلك)^(١) .

وقال ابن العربي في كتابه «العواصم من القواصم» (٢١٢ - ٢١٥):

(وذكر المؤرّخون: أنّ كتب أهل الكوفة وردت على الحسين، وأنه أرسل مسلم بن عقيل، ابن عمّه، إليهم ليأخذ عليهم البيعة، وينظر هو في أتباعه، فنهاه

(١) المنح المكية شرح القصيدة الهمزية (ص ٢٧١).

ابن عباس، وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج، فخرج، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم ابن عقيل قد قُتل، وأسلمه من كان استدعاه؛ ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ! فتمادى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق، ولكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس، وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر، وطلب الابتداء في الانتهاء، والاستقامة في الاعوجاج، ونضارة الشبيبة في هشيم المشيخة).

فالإمام الحسين - في عقيدة ابن العربي - :

لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس .

وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر .

وطلب الابتداء في الانتهاء .

والاستقامة في الاعوجاج .

ونضارة الشبيبة في هشيم المشيخة .

واستمر ابن العربي في هرطاقته في عواصمه أو بالأصح في قواصمه فقال: (وما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جدّه المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذّر من الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة، منها: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إته ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان؛ فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله).

فالحسين بن علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من المفرقين للأمة في عقيدة ابن العربي .

وضربه بالسيف صار واجباً عند ابن العربي لكونه من المفرقين للأمة وفق هذا الحديث .

والذين خرجوا لقتال الحسين وقاموا بقتله - في عقيدة ابن العربي - هم متأولون مسلمون صالحون ومتبعون لأوامر جد الحسين النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وتمسكون بها في قتال أهل البغي الذي يعتبر الحسين - في عقيدة ابن العربي - أحد رؤوسهم الذي تعد مقاتلته وضربه بالسيف عند ابن العربي واجباً شرعياً ملزماً.

وابن العربي يؤكد عقيدته هذه مجدداً بقوله : (فما خرج الناس - أي لقتال الحسين وقتله - إلا بهذا وأمثاله) حتى لا يبقى شبهه في مقصده أو أي مجال لأي تبرير أو اعتساف في توضيح ما أراده لمن دأبهم التبرير لأقوال وأفعال الظلمة والفسقة والنواصب ، واعتساف التفسيرات البعيدة لها .

ويزيد ابن العربي كل ذلك تأكيداً بقوله :

(ولو أنّ عظيمها وابن عظيمها، وشريفها وابن شريفها الحسين، وسعه بيته أو ضيعته أو إبله، ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق، وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر، لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذر به النبي ﷺ، وما قال في أخيه، ورأى أنّها خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق ينصرونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه؟!) .

فالخلافة خرجت عن الحسن والحسين - في عقيدة ابن العربي - بإنذار وبقرار من جدهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

ومن ثمَّ فكأنَّ الأولى بالحسين - في عقيدة ابن العربي - أن يسكت عن ظلم يزيد وفواحشه وأمره بالمنكر ونهيه عن المعروف ، وعن هدم الدين الذي جاء به جده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من القواعد وأن يسعه بيته أو ضيعته أو أبله .

ولم يكتف ابن العربي بهذا الردح والقدح في الحسين الْعَلِيِّ ، بل مد بساط نصبه ونفاقه وحقده إلى اتباع الحسين ومحبيه وجنده الكرام رضوان الله عليهم أجمعين الذين ضحوا بحياتهم وأولادهم في الدفاع عنه وعن بنات محمد من أخوات الحسين وزوجاته وبناته فسأهم هذا الناصبي المنافق (أوباشاً).

ومن أراد المزيد في معرفة نصب ونفاق هذا الناصبي المنافق ودفاعه عن الطاغية يزيد بن معاوية وعن عقيدته في شرعية ولاية يزيد وصحتها فليراجع كتابه «العواصم من القواصم» الذي حققه وعلق عليه من هم على شاكلة ابن العربي في النصب والنفاق والحقده على محمد وآل محمد .

«العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي» للقاضي ابي بكر بن العربي المالكي، مطبوع في دار الجيل بيروت حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه الأستاذ محمود مهدي الاستانبولي ، ووثقه وزاد في تحقيقه والتعليق عليه المكتب السلفي لتحقيق التراث بإشراف الدكتور محمد جميل غازي، الطبعة الثالثة سنة (١٤١٤) من الهجرة

فهل يمكن بعد كل هذا أن يشك أحد في نصب ابن العربي ونفاقه وفي كونه مع الإيمان والتقوى على طرفي نقيض، ناهيك بأن يجعله من له مسكة من عقل ودين ومحبة لله ولرسوله ولأهل بيت النبوة شيخاً متبوعاً سالكاً أو مسلماً إلى القرب من

الله في سلسلة عرفانية تتصل بوالد الحسين الْعَلِيِّ وجدته صلوات الله وسلامه عليهم.

لا مفر للمنتسب إلى الفقيه المقدم من التمسك

بأحد الطريقتين وليس بهما معاً :

ومن ثم فليس هناك من مفر لمن يقف على حقيقة ابن العربي الذي هو شيخ من شيوخ السلسلة الشُعيبية إلا الاختيار بين خيارين لا ثالث لهما .

إما أن يعتبره شيخاً من مشايخه في سلسلة عرفانية صوفية غايتها تزكية النفس الإنسانية والسلوك بها إلى الله جل شأنه ، ومن ثمّ فعلية أن يأخذ بعقيدة هذا الشيخ جملةً وتفصيلاً في أن الحسين بن علي بن أبي طالب الْعَلِيُّ باغياً خارجاً على ولي الأمر مخالفاً لشريعة جده المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، طالباً للرئاسة والملك بدون وجه حق ، مستحقاً للقتال والقتل شرعاً .

أو أن يعتبر الإمام الحسين الْعَلِيُّ إمام حق وعدل وصدق مع الله ورسوله خرج لله وفي الله دفاعاً عن دينه وأمته وقُتِلَ مظلوماً شهيداً على يد طاغية فاسق لعين هو وأعوانه ، وأن ابن العربي هذا ناصبي حاقد منافق كذاب مزيف للحقائق والتاريخ ، يجب البعد عنه وعن عقيدته وهرطقاته كبعد الصحيح المعافي عن المجذوم الهالك.

وإذا عدّ أحد من بني علوي هذا الناصبي المنافق شيخاً لهم في سلسلة التربية والتزكية والسلوك مع عقيدته المشار إليها في الإمام الحسين الْعَلِيُّ فعليه أن يتخلى عن سلسلة الآباء والجدود التي يعد الإمام الحسين الْعَلِيُّ أحد أركانها وأعلامها بحق حتى ينسجم مع نفسه وينئى بها عن هذا التناقض الذي غرق فيه خصوم بني علوي من النواصب المجسمة والمشبهة الذين يدعون الحرص على

التوحيد ومحاربة الشرك وعبادة الله ومحبة أوليائه ، وفي الوقت نفسه يجسمون الله ويشبهونه بخلقه بل يجعلونه شاباً أمرداً ويتولون الشيطان وأوليائه من الظلمة والفاستقين أعداء الله ورسوله.

فلا يمكن أن يكون الإمام الحسين عليه السلام عند أحد مشايخهم في السلسلة الشعبية وهو الشيخ ابن العربي، باغياً ظالماً مخالفاً لله ورسوله ، وفي الوقت نفسه إماماً صالحاً عابداً صادقاً مع الله ورسوله في سلسلة الآباء والجدود ويدعون تمسكهم وارتباطهم بالطريقتين المتناقضتين في وقت واحد.

معنى الأخذ عن فلان في طريقة السادة بني علوي :

قال الإمام عيدروس بن عمر الحبشي علوي في «عقد اليواقيت الجوهريّة» :
(قال سيدنا عبد الله بن علوي الحداد: إذا قيل: فلان أخذ عن فلان، ليس معناه: أنه أخذ عنه في كتاب، أو قال: قرأ عليه في كتاب، إنما معناه: أنه اقتدى به في سيرته بأخلاقه وأفعاله وأقواله، فإذا فعل ذلك فذاك شيخه وهو له مرید)^(١).

فهل يصير بعد هذا أحد على الاقتداء بابن العربي في سيرته وأخلاقه وأفعاله وأقواله ، أو أن يعتبره شيخاً له.

الشبهات المثارة في اتصال الأخذ في السلسلة الشعبية :

رغم أننا لا نأخذ أقوال وأحكام علماء الجرح والتعديل المذهبي كالذهبي وابن الصلاح والسيوطي وغيرهم في تعديل أو تجريح أو سيرة أي شخص ممن سبقوهم أو عاصروهم كمسلمات يقينية بل نضع كل من عدلوه أو جروحه تحت

(١) عقد اليواقيت الجوهريّة (ج ٢ ص ١١٠٤).

مجهر البحث العلمي المجرد والنقد الموضوعي المحايد لأننا ممن يعتقد بأن أساسيات هذا العلم - علم الجرح والتعديل - هي أموية بامتياز وأغلب رموزه منحرفين عن أهل بيت النبوة إلا من رحم ربي .

نقول : رغم كل تحفظاتنا على علماء الجرح والتعديل المذهبي المتعصب فإننا تحامياً من الشبه والشكوك ، إذا توفرت لنا طريقتان في الأخذ العلمي أو السلوكي :
الأولى : لا شبهة فيها ولا غبار عليها البتة .

والثانية : فيها من الشبه والشكوك ما فيها .

يجب أن يكون اعتمادنا في الأخذ والسلوك على الطريق الأول الذي لا شبهة فيه ولا غبار عليه ، وهو الأسلم والأوجه شرعاً وعقلاً ، ولا نلزم في ذلك إلا أنفسنا ومن يقتنع بما نذهب إليه .

ومن هذا المنطلق يكون تعاملنا مع الانقطاعات التي أوردها بعض من علماء الجرح والتعديل في مسألة اللقاء والصحبة بين بعض شيوخ السلسلة الشعبية .

فالذهبي وابن الصلاح وابن دحية يجزمون بعدم اللقاء بين الإمام علي عليه السلام والحسن البصري ومن ثم فلا صحبة ولا أخذ ، ولبس خرقه بين الإمام والحسن البصري عند هؤلاء كما جاء في «سير أعلام النبلاء» للذهبي في ترجمة الحسن البصري (ج ٤ ص ٥٦٦) وفي «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» للسيوطي (ص ٢١٥) وإن خالفهم آخرون في مسألة اللقاء بين الإمام علي عليه السلام والحسن البصري .

كما أن الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة داود الطائي المتوفى سنة ١٦٢ أو سنة ١٦٥ هـ (ج ٧ ص ٤٢٥) ينفي الصحبة بين داود وحبيب العجمي المتوفى سنة ١١٩ هـ .

والصحبان تؤكدهما السلسلة الشعبية وتبني عليها اتصالها بالنبى صلوات الله وسلامه عليه وآله .

بينما فى طريقتنا طريقة الآباء والجدود التى هى أساس وأصل طريقة السادة بنى علوى كما تقدم أنفاً ، تربطنا فى التزكية والسلوك بالنبى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله سلسلة الآباء والجدود التى لا خلاف ولا شبهة فى اتصالها وصحتها وقوتها ، ومن ثمّ فتمسكنا بهذه السلسلة تجعلنا نعزف عن سلسلة فيها مثل ابن العربى المعافرى الناصبى ، وفيها من تحوم حول الاتصال بينهم من شيوخها الشكوك والشبهات .

خاتمة :

ومحصلة القول فى ما قدمناه فى هذا البحث تتلخص فى :

أولاً : إن طريقة الآباء والجدود المعروفة بالسلسلة الذهبية هى طريقة التحكيم والإرادة والإلباس والانتماء العلمى والعرفانى الوحيدة لسيدنا الفقيه المقدم محمد بن على بن باعلوى رضى الله عنه وأرضاه .

ثانياً : أن أى سلسلة من سلاسل الإلباس والإجازة الصوفية ينسب إلى الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى الأخذ عنها بشكل مباشر أو غير مباشر لا تعدو كونها سلسلة تبرك حيث اعتاد العلماء وطلبة العلم فى حضرموت وغيرها من بلاد الإسلام أن يطلبوا الإجازة والإلباس تبركاً من كل من يتوسمون فيه العلم والتقوى والصلاح والرغبة فى النفع والانتفاع . وهذا ينطبق فى اعتقادنا على علاقة الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى بطريقة الشيخ شعيب بن حسين أبى مدين التلمسانى المغربى ، إذا صح لقاءه بأحد أتباعها من الأساس .

ثالثاً: حيث أن إجازات التبرك لا تستدعي المجيز ذكر سلسلة مشائخه للمجاز في الأغلب الأعم فإن البحث في سلسلة مشايخ طريقة الشيخ شعيب بن حسين أبي مدين برزت الحاجة إليه في اعتقادنا في وقت متأخر بعد وفاة الفقيه محمد بن علي بأكثر من قرن من الزمان وكان ذلك من جانب من أراد أن يدعي بأن طريقة الشيخ شعيب هي طريقة التحكيم والإرادة بالنسبة للفقيه المقدم محمد بن علي من جهة ، ولأن أعلام طريقة الآباء والجدود من أئمة أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة لم يشتهروا في مراجع كتب التصوف كمشائخ طرق صوفية كاشتهار الجنيد البغدادي والسري السقطي وأبي بكر الشبلي ومعروف الكرخي والغزالي وغيرهم من مشايخ الطريقة الشيعية من جهة ثانية ، ولكن فات من أراد تحقيق مدعاه هذا أن أول مظاهر التحكيم والانتماء إلى أي طريقة تبرز في انتشار أوراد تلك الطريقة وأذكارها وتراجم وسير مشائخها والتزاور المتواصل بين أتباعها عندما من يتحكم لها ويعد نفسه فرعاً منها ، وهو ما لا أثر له في طريقة بني علوي بالنسبة للطريقة الشيعية .

رابعاً: الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي يعد واحداً من أجل وأبرز أعلام عصره ، عالماً موسوعياً متعمقاً في علوم ذلك العصر يبرز ذلك من خلال نشأته في بيت علم وتقوى ودعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فوالده وعمه وأبناء عمومته - وكلهم كانوا شيوخاً وأستاذةً له - بين فقيه وأصولي ومفسر ومحدث ولغوي ، ومنهم من جمع أكثر من علم في تحصيله وبرز فيه ، فخرج هذه العلامة الفقيه الفذ من بينهم إماماً ومرجعاً علمياً يشار إليه بالبنان، وإذا لم يترك لنا التاريخ الحضرمي أثراً علمياً ذا قيمة من آثار هذا الإمام الكبير فلم يكن حال الفقيه المقدم محمد بن علي مع التاريخ الحضرمي استثناء في هذا الجانب بين من سبقوه من أعلام

أسرته وغيرهم من الحضارمة ومن جاء بعده ، وحتى القرن التاسع الهجري فشكوى المؤرخين من فجوات التاريخ الحضرمي الزمنية المجهولة فيه يمكن جمعها في مجلدات .

خامساً : إن تعامل الفقيه محمد بن علي باعلوي مع أصحاب النفوذ والسلطان في عصره الذين كانوا يخشون على سلطانهم ممن جمعوا بين العلم والأصالة والسخاء ، فيغرون به كل حاقد وغازي من شذاذ الآفاق وما أكثر ما شهد تاريخ حضرموت من هؤلاء الغزاة وأعوانهم في عصر الفقيه ، ومع النواصب الذين لم تزل النزعة الخارجية متمكنة تغلي في صدورهم على أهل بيت النبوة كالمراجل المتقدمة ، ومع الموتورين الذين يعيشون هاجس هذا البيت الهاشمي القرشي معتقدين أنه قد سحب بساط المرجعية العلمية والمكانة الاجتماعية من تحتهم وأن لا عودة لهذا البساط إلا باستئصال شافة أعلامه على أقل تقدير ، نقول : إن تعامل الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي مع هذا الحلف المرعب وقدرته على تأمين سلامة الفرع الباقي من بني أبيه والذي هو إمامه ومرجعه في ظل هذه الغابة المتوحشة الموحشة من المتربصين ، والمحافظة عليهم من التنكيل والتشريد والإبادة والانقراض ، والمحافظة في الوقت نفسه على قيم البيت النبوي وأخلاقه وسلوكه الخاص والعام وترسيخها بين قومه ، يدل بوضوح على أنه كان من ذلك النوع المتميز النادر من أفذاذ التاريخ الإنساني الذي كان يقرأ التاريخ الماضي والواقع المعاش بعمق ووعي وحكمة ويستشرف المستقبل ببصيرة نافذة كفعل أولئك القوم من أجداده المتمين إلى سيد الأولين والآخرين صلوات وسلامه عليه وعلى آله نسباً وانتساباً والذين لم يشهد التاريخ الإنساني بعد أنبياء الله ورسله الكرام من أضاء له صفحاته بالعدل والشجاعة والعلم وتقوى الله في السر والعلانية والرأفة

بعباده سواهم وبنور يمحو ما يكتنفه من كثافة ظلمات الغدر والظلم والجهل والفتنة والنفاق.

ولكن إذا سلم هذا الإمام الجليل ونجّاه الله من الاغتيال الحسي فلم يكن ليسلم من محاولات الاغتيال المعنوي من جانب ذلك الحلف المرعب بجعله مركز دائرة الشطحات الملفقة المكذوبة التي تمجها الفطرة السليمة ناهيك بمن كان له قلب أو إلقى السمع وهو شهيد ويأبى الله جل شأنه إلا أن يرى الزبد يذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

إن سير وتراجم أعلام الأمة الذين تركوا بصمات مشرقة في تاريخها والذين لا تزال آثارهم الحسية والمعنوية باقية ومؤثرة بعمق في حياة مجتمعاتهم خاصة والمجتمع الاسلامي بوجه عام تعد أمانة غالية في أعناق المؤرخين والباحثين تستحق التعامل معها بموضوعية وتحقيق ودراسة علمية لكل الروايات المنسوبة إليهم وليس التعامل معها بأسلوب حاطب الليل الذي يجمع الدق والجزل أو بعقلية من يلهث لتسجيل اسمه بين المؤرخين والباحثين والمؤلفين على حساب هؤلاء الأعلام وسيرهم متدثراً بدعوى حسن الظن بما في كتب التراث عن هؤلاء الأعلام أو بإحاطته بقداسة مزيفة أو بالعصمة من الخطأ أو الهوى والغرض .

إن البحث عن المصدر الأول لكل رواية وعن سند الراوي إلى هذا المصدر تعد في اعتقادنا من أولويات البحث في سير هؤلاء الأعلام والكتابة عنهم وسيرة الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي تعد مفصلاً مهماً وأساسياً في تاريخ بني علوي خاصة وحضرموت عامة لا يجوز التعامل معها بمثل الخفة والسطحية وعدم التمييز بين المدح والقدح الذي نجده عند الكثير ممن كتبوا عنه في الماضي والحاضر وعند بعض الوعاظ الذين يريدون التعامل مع ما يقولون أو يدعون من جانب السامعين كتعامل الجند مع فرمانات الباب العالي في العصر العثماني

إن إعادة قراءة سير أعلام السلف الصالح ووضعها تحت مجهر البحث والتحقيق والنقد الموضوعي بعيداً عن الغلو فيهم من جانب وعن الظلم والتشويه من جانب آخر صارت ضرورة في هذا العصر الذي بلغ الغلو والتطرف مداه الأقصى عند طرفي الصراع حولهم وحول تاريخهم وسيرهم وصار شباب هذا الجيل يعاني تمزقاً قد يدفع به إلى إهمال سير أولئك الأعلام جملة وتفصيلاً. ومن الله نسأل التوفيق والهداية إلى الحق والصواب إنه سميع مجيب

الفهرس

ص	الموضوع
٤	المقدمة.....
١٣	التصوف والطرق الصوفية.....
١٤	طريقة السادة بني علوي الحسينيين.....
١٦	الأصل الذي يتفرع منه شيوخ طريقة بني علوي.....
٢١	الأسس الثابتة في الطرق الصوفية.....
٢٤	العلاقة بين طريقة بني علوي والطريقة الشعبية.....
٣٩	نموذج من القصص الملفقة حول الفقيه المقدم.....
٤١	هل كان بامر وان شيخاً للفقيه المقدم في الفقه؟.....
٤٤	شيخ المتكلمين محمد بن حسن بن فورك.....
٤٦	عكس واقعة التهاجر من النقيض إلى النقيض.....
٤٧	أين التراث العلمي لهذا الفقيه العلوي؟.....
٤٨	نبحث عن الحقيقة ولا نتهم أحداً.....
٤٩	أين تراجم أقران الفقيه المقدم في لبس خرقة المغربي؟.....
٥٠	لماذا كل هذا التشويه للفقيه العلوي؟.....
	المؤرخون والكتّاب من بني علوي ونقلهم للدعاوى والشطحات
٥٦	المنسوبة إلى الفقيه المقدم محمد بن علي.....
٦٠	عبد الرحمن المقعد وعبد الله الصالح وبعض المشايخ في السلسلة الشعبية
٦٢	من أين نشأ الاختلاف في روايات لبس الفقيه من المغربي؟.....
٦٣	أين شيوخ الطريقة الشعبية في أدبيات وأذكار الطريقة العلوية؟.....
٦٤	سلسلة الشيخ شعيب بن حسين أبي مدين.....
٦٧	ابن العربي المعافري الناصبي أحد أعلام السلسلة الشعبية.....
٦٨	موقف ابن العربي من الإمام الحسين بن علي.....
٧٢	لا مفر للمنتسب إلى الفقيه المقدم من التمسك بأحد الطريقتين وليس بهما معاً....
٧٤	معنى الأخذ عن فلان في طريقة السادة بني علوي.....
٧٤	الشبهات المثارة في اتصال الأخذ في السلسلة الشعبية.....
٧٦	خاتمة.....